

المسحاة

مجلة

المجلد الثامن عشر
الجزء السادس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد الثامن عشر)

٤٠١

(الجزء السادس)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« مناراء كمنار الطريق »

مصر ٣٠ شعبان ١٣٣٣ — ٢٠ السرطان (ص ١) ١٢٩٣ هـ ش ١٣ يوليو ١٩١٥

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام أبو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)
وعناوين المسائل من زيادة المنار

٢

أفعال النبي (ص)

(مسألة) وأفعال النبي (ص) ليست فرضا إلا ما كان منها ييانا
لامر فهو حينئذ أمر، لكن الاتساع به عليه السلام فيها حسن. برهان
ذلك هذا الخبر الذي ذكرنا آنفا من أنه لا يلزمنا شيء إلا ما أمرنا به
أو نهانا عنه، وأن ما سكت عنه فهو ساقط عنا. قال الله عز وجل (لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)
شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا عليه السلام .
 قال الله عز وجل (لِكُلِّ جَمْعٍ مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا هَؤُلَاءِ) حدثنا أحمد بن
 محمد بن الجسور ، نا وهب بن مرة ، نا محمد بن وضاح ، نا أبو بكر بن
 أبي شيبة ، نا هشيم ، نا بشار ، نا يزيد الفقير : أخبرني جابر بن عبد الله
 أن رسول الله (ص) قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرتُ
 بالرَّعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل
 من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ،
 وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس
 عامة » — فإذا صح أن الأنبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم إلا
 إلى قومه خاصة ، فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط ،
 وإذا لم يبعثوا إلينا ، فلم يخاطبونا قط بشيء ، ولا أمرونا ولا نهونا ، ولو
 أمرونا ونهونا وخاطبونا لما كان لنبينا عليه السلام فضيلة عليهم في هذا
 الباب . ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وأبطل هذه الفضيلة التي
 خصنا الله تعالى بها

— فإن صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا أن
 شرائعهم لا تلزمنا أصلا ، وبالله تعالى التوفيق
تحريم التقليد

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا ، وعلى
 كل أحد من الناس الاجتهاد حسب طاقته . فمن سأل عن دينه فأنما يريد

[المنار: ج ٦ م ١٨] أدلة بطلان التقليد ومعنى سؤال أهل الذکر ٤٢٥

معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين . ففرض عليه ان كان أجهل
البرية أن يسأل عن أعلم أهل بلده بالدين الذي جاء به رسول الله (ص)
فاذا دُلَّ عليه سألَه ، فاذا افتاه قال له : هكذا قال الله ورسوله ؟ فان قال
له نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبدا ، وان قال له هذا رأيي أو هذا قياس ،
أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحباً أو تابعا أو فقيها قديما أو حديثا ، أو
سكت أو انتهره ، أو قال له لا ادري ، فلا يحل له ان يأخذ بقوله . ولكن
يسأل غيره . وبرهان ذلك قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)^(١) فلم يأمر عز وجل قط
بطاعة بعض أولي الامر ، فمن قلد عالما أو جماعة علماء فلم يطع الله
تعالى ولا رسوله (ص) ولا أولي الامر واذالم يردا إلى ما ذكرنا فقد
خالف امر الله عز وجل ، ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر
دون بعض

فان قيل فان الله تعالى قال (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون)
وقال تعالى (ليتفقها في الدين ولينسذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) قلنا
نعم ولم يأمر الله عز وجل ان نقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ، ولا ان
يطاع أهل الذکر في رأيهم ، ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل ،
وانما أمر تعالى أن نسأل أهل الذکر عما لا نعلم من الذکر الوارد من عند الله
تعالى فقط ، لا عما قاله^(٢) من لا سمع له ولا طاعة ، وانما أمر تعالى بقبول

(١) في الاصل: واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم (٢) في الاصل
عن من قاله

٤٢٦ الاجتهاد واستفتاء أهل الحديث لا الرأي [المنار: ج ٦ م ١٨]

نذارة النافر للتفقه في الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسوله (ص) لا في دين لم يشرعه الله عز وجل

ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل ، وقال قولاً لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ، ولا إجماع ولا قياس ، وما كان هكذا فهو باطل لأنه قول بلا دليل ، بل البرهان قد جاء بإبطاله ، قال الله تعالى ذاماً لقوم (انا أطمعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً)

والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طلب دين الله تعالى الذي أوجبه على عباده ، وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان المسلم لا يكون مسلماً الا حتى يقر بأن الله تعالى إلهه لا إله له غيره ، وان محمداً رسول الله (ص) فهذا الدين اليه والى غيره ، فاذا شك في هذا ففرض عليه ان يسأل اذا سمع فتياً: أهذا هو حكم الله تعالى وحكم رسوله؟ وهذا لا يبرح عنه من يدري بالاسلام ولو أنه كما جلب من (فوقو) وبالله تعالى التوفيق

استفتاء أهل الحديث لا الرأي

﴿ مسألة ﴾ وان قيل له اذا سأل عن أعلم بلده في الدين : هذا صاحب حديث عن رسول الله (ص) وهذا صاحب رأي وقياس ، فليسأل صاحب الحديث ، ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً . وبرهان ذلك قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك . والرأي والقياس ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور ، نا احمد بن سعيد ، نا ابن وضاح ، نا يحيى بن يحيى ، نا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان

[المنار: ج ٦ م ١٨] رفع الخطأ والنسيان وما لا يستطاع ٤٢٧

رسول الله (ص) قال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»
 حدثنا يونس بن عبد الله ، نا يحيى بن مالك بن عاثد ، نا أبو عبد الله
 ابن أبي حنيفة ، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، نا يوسف
 ابن يزيد القراطيسي ، نا سعيد بن منصور ، نا جرير بن عبد الحميد عن
 المفيرة بن مقسم عن الشعبي قال «السنة لم توضع بالمقاييس» حدثنا محمد
 ابن سعيد بن ثبات (?) نا اسماعيل بن اسحق البصري ، نا أحمد بن سعيد بن
 حزم ، نا محمد بن إبراهيم بن حمون الحجازي ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل
 قال: سمعت أبي يقول «الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي»^(١) حدثنا
 همام بن أحمد ، نا عباس ابن أصبغ ، نا محمد بن عبد الملك بن اعين ، نا عبد الله
 ابن أحمد بن حنبل ، قال سألت أبي عن الرجل يكون يبلد لا يجد فيه إلا
 صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيم وأصحاب رأي فتنزل به
 النازلة : من يسأل ؟ فقال أبي : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل أصحاب
 الرأي . ضعيف الحديث أقوى من رأي أبي حنيفة

رفع الخطأ والنسيان

﴿مسألة﴾ ولا حكم للخطأ ولا للنسيان إلا حيث جاء في القرآن
 أو السنة لهما حكم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
 ما تعمدت قلوبكم) وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

إنما التكليف بالاستطاعة

﴿مسألة﴾ وكل فرض كلفه الله تعالى الإنسان فإن قدر عليه لزمه ،
 وإن عجز عن جميعه سقط عنه ، وإن قوي على بعضه وعجز عن بعضه

(١) الحديث الضعيف عند أحمد هو الحسن عند الجمهور

سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء كان أقله أو أكثره .
برهان ذلك قول الله تعالى (لا يكاف الله نفسا الا وسعها) وقول رسول
الله (ص) « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل
باسناده وبالله تعالى التوفيق

لا يقدم الموقت على وقته

﴿ مسألة ﴾ ولا يجوز ان يعمل احد شيئا من الدين موقتا بوقت
قبل وقته ، فان كان موقتا الاول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل
لا قبل وقته ولا بعد وقته ، لقول الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) والاقوات حدود
فن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له ، فقد تعدى حدود الله (١)
— حدثنا عبد الله بن يوسف ، نا أحمد بن فتح ، نا عبد الوهاب بن عيسى

(١) الحدود المكانية أولى بهذا الحكم من الحدود الزمانية كما اقيمت الحج ،
وقد عبر عنها في الأحاديث بمادة الحد كما في حديث ابن عمر في البخاري « ان رسول
الله (ص) حد لأهل نجد قرنا » وقد مضى عمل النبي (ص) وأصحابه على ذلك
فيصدق على مخالفة الحديث الآتي « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقد
أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، وأنكر مالك على من أراد الاحرام من
مسجد الرسول بالمدينة وقال له : أخشى عليك الفتنة . وحديث أم سلمة في
الاهلال من المسجد الأقصى لا يصح . وما روي في تفسير انما الحج والعمرة « أن
تحرم من دويرة أهالك » فعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس
 وغيره من قوله « أن تحرم من دويرة أهالك لا تريد الا الحج والعمرة ، وتهل من
الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت
لو حججت أو اعتمرت ! وذلك بخزي ولكن التهام أن تخرج له لا لغيره »
وبهذا تنفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية .

نا أحمد بن محمد، نا أحمد بن علي، نا مسلم بن الحجاج، نا اسحق ابن إبراهيم - هو ابن راهويه - عن أبي عامر العقدي، نا عبد الله بن جعفر الزهري، عن سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قال سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: أخبرني عائشة أن رسول الله (ص) قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ »

(قال علي) ومن أمره الله تعالى أن يعمل عملاً في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت، فقد عمل عملاً ليس عليه أمر الله تعالى وأمر رسوله (ص) فهو مردود باطل غير مقبول، وهو غير العمل الذي أمر به

فإن جاء نص بأنه يجزئ في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ، وإنما الذي لا يكون وقتاً للعمل فهو ما لا نص فيه وبالله تعالى التوفيق

المجتهد المخطئ خير من المقلد المصيب

﴿ مسألة ﴾ والمجتهد المخطئ أفضل عند الله من المقلد المصيب. هذا في أهل الإسلام خاصة. وأما غير أهل الإسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد. وكلاهما هالك. برهان هذا ما ذكرناه آنفاً بإسناده من قول رسول الله (ص) « إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذم الله تعالى التقليد جملة، فالمقلد عاص والمجتهد مأجور

وليس من اتبع رسول الله (ص) مقلداً لأنه فعل ما أمره الله تعالى به، وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله (ص) لأنه فعل ما لم يأمره الله تعالى به. وأما غير أهل الإسلام فإن الله تعالى يقول (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

الحق واحد لا يتعدد

﴿مسألة﴾ **والحق من الأقوال في واحد منها وسائرها خطأ وبالله تعالى التوفيق.** قال الله تعالى (فإذا بعد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كان عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذم تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا) وقال تعالى (تبينا لكل شيء) فصيح أن الحق في الأقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه، وهو واحد لا يختلف، وإن الخطأ ما لم يكن من عند الله تعالى، ومن ادعى أن الأقوال كلها حق، وأن كل مجتهد مصيب، فقد قال قولا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول

وما كان هكذا فهو باطل ويبطله أيضا قول رسول الله (ص) «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر» فنص عليه السلام أن المجتهد قد يخطئ ومن قال أن الناس لم يكفوا إلا اجتهدهم فقد أخطأ، بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله تعالى به، قال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل الإنسا وأن لا تتبع غيره، وألا تتعدى حدوده

وانما أجر المجتهد المخطئ اجرا واحدا على نيته في طلب الحق فقط، ولم يأنم إذ حُرِمَ الإصابة. فلو أصاب الحق اجرا اجرا آخر، كما قال عليه السلام أنه إذا أصاب اجرا ثانيا. حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالده، نا إبراهيم بن أحمد، نا الضريري، نا البخاري، نا عبد الله بن يزيد المقرئ، نا حيون بن شريح، نا يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو

[المنار: ج ١٨ م ١٨] مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية ٤٣٩

ابن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله (ص) يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر » ولا يحل الحكم بالظن اصلاً لقول الله عز وجل (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) ولقول رسول الله (ص) « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق اهـ

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية*

٣

نص وترجمة الوصفة الطبية المدرجة في القرطاس الطبي المحفوظ بمتحف برلين . وهي التاسعة والتسعون بعد المائة . وكانت كتابة هذا القرطاس في زمن العائلة التاسعة عشرة واسم الوصفة الطبية بلسانهم « بخر »^(١)
لمأة^(٢) تمشؤ الست لا تمشؤ^(٣)

(*) لأحمد كمال بك أمين المتحف المصري
(١) البخر مقلوب الخبر بالضم أي الاختبار بالتجربة ونحوها .
(٢) اللماة اللمحة . فاهمزة مقلوبة عن الحاء وهذا القلب موهود في اللغتين العربية والمصرية . وقد ورد في العربية لمأة ولحة بمعنى واحد ، بل هو فعل واحد (٣) هو من المشاء بالفتح وهو بالعربية النماء ومنه الماشية . قال في لسان العرب : وأصل المشاء النماء والكثرة والتناسل . ولكن فعله بالعربية يأتي يقال مشت إبل بني فلان تمشي مشاء إذا كثرت . والمصريون همزوا الفعل وقد اختلف علماء اللغة العربية في إطلاق لفظ الست على المرأة قليل إنه مأخوذ من الجهات الست كما قال البهاء زهير : =

٤٣٢ مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية [المنار: ج ٦ م ١٨]

بُرْتُ (٤) وعُضُّ (٥) تفوحهما (٦) الست بـمـا رفاء (٧) مثل البرني (٨)
والعيش (٩) في غلافين (١٠) فان ذرا (١١) لوفرتها (١٢) فانها تمشو وان ذرا
البر فهو ذكر وان ذرا العض فهو ست وان عدم الذرة لا تمشو
والمعنى: إن أريد أن يعرف هل تلد المرأة أم لا تلد، وماذا تلد ان ولدت،
فليوضع في غلاف أي إناء شيء من البر وفي إناء آخر شيء من الشعير كما يفعل
في تقع التمر والعيش، وتبول المرأة عليهما كل يوم، فان نباتا معا فانها تلد وان نبت
القمح وحده تلد ذكرا وان نبت الشعير وحده تلد أنثى. وان لم ينبتا لاتلد

= ولكن عادة ملكت جهاتي فلا عجب اذا ماقلت ستي
وقيل لحن أو عامي. وقال الفير وزبادي الصواب ان أصله سيدتي. وظاهر
كلامه انه مخصوص بالنداء وحالقه غيره في هذا. واستعمال هذه الكلمة بمصر
أكثر من استعمالها في سائر البلاد العربية. ولا يبعد ان تكون مما أخذ العرب عن
قدماء المصريين لا العكس

(٤) البر والقمح والحنطة واحد في اللغتين كما تقدم في النبذة الأولى
(٥) العض بضم العين المهملة من أسماء الشعير بالعربية والمصرية وهو المراد هنا
(٦) المراد بالتفويج بلاء هنا إراقة البول. ومادته فوح تدل في العربية على
الإراقة لكنه استعمل في الدم يقال أفاح الدم اذا أراقه وسفكه، وفاح الجرح.
على انتشار الرائحة وهو المشهور، وعلى السعة. وقالوا بحر فواح
(٧) قال أحمد كمال بك رفاء معناه كل يوم ولا نعرف له أصلا في العربية بهذا
المعنى ويقرب منه الرفاء (بالكسر) وهو الاتصال والالتحام

(٨) البرني أجود التمر وذكر في النبذة الأولى
(٩) العيش اطلق على الخبز في اللغتين لأنه المادة التي يعيش بها أكثر الناس
(١٠) الغلاف بوزن كتاب الصوان والغشاء الذي يصان به الشيء يقال غلاف
الكتاب وغلاف السيف واستعمل بالمصرية بهذا المعنى
(١١) يقال بالعربية ذرا الأرض بمعنى بذرها، ويقال بذرت الأرض اذا
أخرجت نباتها متفرقا
(١٢) معناه بالمصرية كلاهما. والوفرة بالعربية الكثرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَاشَا لِلدَّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

٨

الاعضاء التي لا قناة لها

علم مما سبق أن في جسم الانسان نوعين من الاعضاء : —
 (النوع الاول) : هو الذي له قناة تحمل افرازه سواء أ كان هذا الافراز صالحا للجسم أم ضارابه، فمثال الصالح افراز البنكرياس ومثال الضار افراز الكلية. وتسمى هذه الاعضاء « بالغدد التي لها قناة » وافرازها يسمى « بالافراز الخارجي » لانه يرى خارجا منها ويجري في قنواتها ، وأ كثر هذه الاعضاء له افراز آخر يسمى « بالافراز الداخلي » وهو الذي يجري في الأوردة الدموية أو في الاوعية اللمفاوية. وله فوائد سنذكرها ان شاء الله تعالى . مثال ذلك الخصية فان لها افرازا خارجيا وهو المنى يجري في قنواتها المروقة ، وافرازا داخليا لا يرى وله تأثير في بنية الشخص وهيئته وصوته وشعر وجهه ونحو ذلك من مميزات الذكور التي تفقد بالخصاء
 (النوع الثاني) : الاعضاء التي لا قناة لها كالطحال وغيره . وهذه لها افراز واحد يسمى « بالافراز الداخلي » له منافع عظيمة في الجسم ، وقال آخرون إن المراد من هذه الاعضاء الاخيرة ليس افراز مواد نافعة للجسم بل إخراج بعض فضلاته لضرر بقاءها فيه ، والظاهر أن كلتا النظريتين صحيحة من بعض الوجوه ، ولكن الأولى أكثر قبولا عند الجمهور الآن من الثانية . وهالك بيان وظيفة تلك الاعضاء التي لا قناة لها : —

٤٣٤ وظائف الطحال والغدتين : الصغرية والدرقية [المنار : ج ١٨ م ١]

(١) الطحال عضو شهير ، وهو أكبر الغدد التي لا قناة لها ، وموضعه في الجهة اليسرى من البطن بين المعدة والحجاب الحاجز . أما وظائفه فخمس :

(أولها) تكوين كريات بيضاء للدم (ثانيا) توليد بعض الكريات الحمراء في بعض الحيوانات (ثالثها) اتلاف الكريات الحمراء القديمة التي قاربت الفساد (رابعها) تكوين بعض مواد نيتروجينية كحامض البوليكت لإخراجها من الجسم لضرر بقائها فيه (خامسها) يقوم الطحال بوظيفة مستودع للدم يجتمع فيه إذا انتهى الهضم فيمتلئ به ويكبر حجمه ، وإذا ابتداء الهضم يندفع الدم منه إلى المعدة

(٢) الغدة الصغرية غدة مؤقتة تكبر عقب ولادة الطفل إلى نهاية السنة الثانية إذ يتم نموها ، ثم تأخذ في التناقص شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا أثرها في زمن البلوغ . موضعها في الجزء الأمامي من الصدر وراء القص وتمتد إلى أسفل العنق ولونها يميل إلى الحمرة أو يقرب من السنجابي

ووظيفتها تكوين كريات بيضاء كباقي الغدد اللعابية . وفي الحيوانات التي تسبت (Hibern ate)^(١) تبقى فيها هذه الغدة الصغرية مدة الحياة كلها ، وفي أثناء يقظتها يتراكم فيها جزء عظيم من الشحم ، وهذا يستعمل في أثناء سباتها فيأخذ في الاحتراق شيئا فشيئا

فيظهر من ذلك أنها تجتمع فيها بعض المواد التي تلزم للحياة في أثناء هذا النوم الطويل في تلك الحيوانات

ويقول بعض العلماء أنها تولد أيضا بعض الكريات الحمراء في الأطفال وإذا أزيلت هذه الغدة من بعض الحيوانات كالضفادع مثلا . حصل لها ضعف عضلي شديد مع شلل ينتهي بالموت

(٣) الغدة الدرقية تشاهد في أسفل العنق من الأمام على القصبة الهوائية ، وشكلها يشبه الدرقة ولذلك سميت بهذا الاسم . وهي في النساء أكبر منها في الرجال ، وفي زمن الحيض تنتفخ قليلا . وقد تصاب بمرض فتحصل فيها ضخامة

(١) كلمة لاتينية معناها حرفيا (تشتي) والمراد بها السبات الذي يصيب بعض الحيوانات مدة الشتاء كالخفاش (الوطواط)

[المنار: ج ٦ م ١٨] وظيفة الغدة الدرقية. الغدة التي فوق الكليتين ٤٣٥

عظيمة تسمى بلسان الأطباء (جواتر) Gositre^(١) وهو مرض عسير الشفاء ولا يزول غالبا الا بعملية جراحية فيستأصل من العنق، ويجب الاحتراس من ظن أن هذه الغدة هي القطعة الناتئة في العنق المسماة « بتفاحة آدم »^(٢) فان هذه الغدة التي تكلم عليها هي تحت التفاحة بقليل

أما مادتها فركبة من منسوج مخصوص مشتمل على حويصلات صغيرة جدا مملوءة بمادة غروية مركبة من الزلال وعنصر اليود

ووظيفة هذه الغدة ان تفرز افرازا داخليا له تأثير عظيم في بنية الشخص وقواه العقلية، فاذا مرضت أو استئصلت في الاطفال وقف جسمهم عن النمو وأصيخوا بالبله واذا أصابها المرض في الكبر حدث للانسان ما يسمى « بالتورم المخاطي » [Myxoedema] في جسمه فتضخم جميع الانسجة التي تحت الجلد حتى يتورم جسمه ويصاب بالضعف العام في جميع قواه الجثمانية والعقلية، ولذلك يجب الاحتراس في أثناء العمليات الجراحية من استئصال هذه الغدة كلها بل يتحتم ترك جزء منها ليقوم بهذه الوظيفة المهمة

وانما سمي هذا المرض الاخير بالتورم المخاطي لظنهم أن هذا الورم ناشئ عن زيادة المواد المخاطية تحت الجلد. والحقيقة أن المنسوج الضام الذي تحت الجلد بجميع أجزائه هو الذي يضخم لا المادة المخاطية التي فيه وحدها ولعلاج هذه الاحوال يجب استمرار حقن خلاصة من الغدة الدرقية تحت جلد المصاب أو تستعار له هذه الغدة من أحد الحيوانات وتلصق بجسمه جراحيا (وهي طريقة قليلة النجاح) وأحسن من ذلك كله ان يأكل المريض من هذه الغدة مادام حيا

ويوجد للغدة الدرقية أخوات صغيرة بجوارها أو فيها والراجح عند بعض العلماء أن التأثير الأعظم في المجموع العصبي وغيره هو لهذه الغدد الصغيرة (٤) الغدة التي فوق الكلية هي جسم شكله كالمقنسة المضغوطة من الجانبين

(١) كلمة فرنسية معناها الحرفي البلعوم

(٢) سميت بذلك لظهورها في الرجل أكثر منها في الأنثى

٤٣٦ الجسم النخامي والغدة الصنوبرية والجسم العصعصي [المنار: ج ٦ م ١٨]

يرى على قفة كل من السكيتين ؛ أما وظيفتها فأول من اهتمدى اليها طبيب انكليزي يسمى (أديسون) Addison في سنة ١٨٥٥ م ولذلك سمي المرض الناشئ من اصابة هذه الغدة باسمه الى اليوم. وأعراضه ضعف في المجموع العضلي كله وفي المجموع الدوري للدم وفي الاعصاب، واصابة الجلد بلون السمرة بحيث تشبه المنحاس

واذا استخلص من هذه الغدة خلاصة وحقت تحت الجلد أحدثت انقباضا في الاوعية الدموية الصغيرة ، فهي لذلك تنفع في منع النزيف، وكذلك اذا وضعت هذه الخلاصة على الاغشية المخاطية صيرت لونها أكمد لا تقباض الاوعية الدموية فيها ومنعت النزيف ، ولذلك يستعملها أطباء العيون في العمليات الجراحية للعين بنسبة واحد في الألف لمنع النزيف . وأشهر الامراض التي تصيبها هو التدرن

(٥) الجسم النخامي أو المخاطي هو جسم في الدماغ أحمر سنجابي يشاهد على السرج التركي للعظم الوتدي من عظام الجمجمة أسفل المخ ، ومرض هذا الجسم يحدث ضخامة فظيعة في عظام الاطراف العليا والسفلى وكذلك في عظام الوجه

(٦) الغدة الصنوبرية هي أيضا داخل الجمجمة تحت مؤخر الجسم المندمل الموصل بين فصي المخ ، في وسطها تجويف صغير ، ولم تعلم لهذا الجسم وظيفة الى الآن ، وغاية ما يعرف عنه أنه أثر ضامر لعين ثالثة

وتوجد هذه العين في حال أحسن منها في الانسان في الاورال (العضاء) [Lizards] خصوصا في النوع المسمى بالافرنجية «هتيريا» (Hatteria) وهي فيها مغطاة بالجلد ، وفي الحرباء وبعض الزواحف تتصل الغدة الصنوبرية بعين ثالثة في وسط سطح الرأس ولكنها في الحالة الاثرية أيضا

وهذا العضو هو من أعظم وأشهر الاعضاء الاثرية التي بنى عليها مذهب دارون (٧) الجسم العصعصي يوجد عند نهاية العصعص وفيه منسوج ضام مشتمل على كثير من أوعية دموية صغيرة . وهذا الجسم لا تعرف له وظيفة أيضا

(٨) الجسم السباتي هو جسم عند انقسام الشريان السباتي^(١) الذي في جانبي (١) سمي بذلك لان الضغط على هذا الشريان ضغطا يقلل الدم عن الدماغ يحدث نوما عميقا (أي سباتا) أو غيبوبة

العنق الاعمى والايسر

وهذا الجسم يشبه في تركيبه الجسم العصبي وهو مثله أيضا في جهلنا وظيفته
جهلا تاما

الجلد : تركيبه ووظيفته

يتركب الجلد من طبقتين : العليا تسمى البشرة ، والسفلى تسمى الادمة ، وفيهما
الشعر والأظفار والغدد الدهنية وغدد العرق ، أما البشرة فهي مركبة من طبقات
عديدة ، كل منها مركب من خلايا بعضها بجانب بعض كالبلات

وأما الطبقات السطحية فهي كالقشور الميتة وتفقد منها نوياتها ، وتنفصل عن
الجلد شيئا فشيئا ، ويحصل نمو البشرة من طبقاتها السفلى . وفي هذه الطبقات ترى
المواد الملونة لبعض أنواع البشر . وفيها أيضا تحفظ المواد التي يستعملها الناس للوشم .
وطبقات البشرة تتغذى بالمادة اللعفاوية ، ولها مجار دقيقة جدا بين خلاياها ، ولا يوجد
في البشرة عروق للدم ، ولكن يوجد في الطبقات السفلى منها أعصاب دقيقة جدا

وأما الادمة فهي مركبة من منسوج ليفي كثيف ، وهذه الكثافة تتناقص شيئا
فشيئا حتى تصل الى المنسوج الخلوي الذي تحت الجلد وبه الشحم . وفي الادمة
حلمات صغيرة توجد بكثرة في راحة الكفين وفي أخمص القدمين ، وهي أكبر
الحلمات الجلدية ، ويكون بعضها بجوار بعض صفا صفا ، وهي السبب فيما نشاهده
في جلد الراحة مثلا من القنوات الصغيرة . وهذه القنوات لها أشكال متنوعة في
يد كل شخص ، بحيث يتعذر وجود شخصين متماثلين فيها من جميع الوجوه ، ولذلك
يختبر بها تحقيق الشخصية

وفي الحلمات الجلدية لفائف من الأوعية الشعرية الدموية ، وفي بعض الاجزاء
كالأخصص والراحتين وغيرها أجسام بيضاوية لها علاقة مخصوصة بحاسة اللمس
وفي الطبقات السفلى من أدمة الصنف والقضيب وحلمة الثديين ألياف عضلية
غير اختيارية ، وهي التي تحدث الانكماش في جلد تلك الاعضاء بانقباضها

٤٣٨ الاظفار والشعر وغدد الدهن والعرق. وظائف الجلد [المنار: ج ٦ م ١٨]

وأما الاظفار فهي عبارة عن بعض طبقات من طبقات البشرة تنوحت تنوعا خاصا

وأما الشعر فهو أيضا طبقات من البشرة تنوحت تنوعا مخصوصا، وكل شعرة تنبت من بصيلة في حفرة مخصوصة تسمى الحويصلة الشعرية. والشعر يوجد في جميع أجزاء الجسم بدرجات مختلفة ما عدا الراحتين والأكفمين والقضيب، أما لونه فهو ناشئ عن وجود مادة ملونة في خلاياه. وسبب الشيب فقد هذه المادة، وقد يتولد في الشعر فقاقيع هوائية وهي التي تظهر أن لونه أبيض عند حصول فزع للانسان مثلا وكل حويصلة من حويصلات الشعر لها ليفة عضلية صغيرة تجذبها في بعض الاحوال فينتصب الشعر كما يحصل عند البرد أو الفزع

وأما الغدد الدهنية فهي غدد كيسية موضعها في الأدمة وتنفث قنواتها في أعلى حويصلات الشعر، وهي تفرز مادة دهنية فائدتها تليين الشعر والجلد، وبانسداد هذه الغدد والتهابها يحصل « حب الشباب » بسبب كثرة افراز المادة الدهنية في هذا الطور من العمر، وبعد سن الثلاثين يندر وجود هذا المرض

وأما غدد العرق فتوجد في جميع سطح الجلد وتكثر جدا في الاماكن التي لا شعر فيها كالراحتين، وكل منها عبارة عن أنبوبة ملتفة على نفسها، موضعها في الأدمة أو فيما تحتها - وهو الغالب - وتنفث قنواتها في سطح البشرة
وأما المادة التي تفرز في داخل الاذن فلها غدد تشبه غدد العرق

وظائف الجلد

- (١) أن يكون وقاية للجسم ومركزا للحس باللمس
- (٢) عليه مدار تنظيم حرارة الجسم - كما سبق -
- (٣) يتنفس الجسم منه، فانه يخرج منه غاز ثاني أكسيد الفحم، ويمتص الجسم أكسجين من الهواء. وهذه الوظيفة في الحيوانات ذوات الجلد السميك ضعيفة جدا ولكن لها في ذوات الجلد الرقيق أهمية عظمى، حتى اذا نزع منها الرئتان عاش الحيوان مدة بالتنفس الجلدي فقط كما في الضفادع

(٤) الامتصاص ، وهذه الوظيفة لها أهمية في العلاج فان كثيرا من المواد اذا وضعت على الجلد دخلت البنية كالزئبق مثلا وكذلك الزيوت وغيرها كثير ، فبامتصاص الزئبق من هذا الطريق يمكن معالجة الداء الافرنجي . وكذلك يعالج الاطفال النحفاء بذلك أجسامهم بالزيوت خصوصا زيت السمك ، وهي طريقة لطيفة لتوقي طعمها المبغوض . ومن هنا نفهم سبب سمن اكثر المشتغلين بمس الزيوت والشحوم كالجزارين مثلا فان أجسامهم تمتص شيئا منها ، والامتصاص بالجلد هو بالضرورة أضعف من الامتصاص بالاعشية المخاطية

(٥) الافراز ، ومعناه خروج بعض المواد الضارة بطريق الجلد من جسم

الانسان في العرق وغيره

العرق

توجد غدد العرق بكثرة في الانسان في راحتيه واخصيه — كما سبق — ولذلك يكثر العرق فيهما ولكن يوجد اختلاف بين الحيوانات في كمية العرق التي تفرزه وفي الاماكن التي يفرز منها بكثرة — فالثور يعرق أقل من الخصان والغنم ، والفيران والارانب والمزالع يعرق ، والخنزير انما يعرق أنفه بكثرة ، واما الكلاب والقطة فتعرق براحة أرجلها

واذا خرج العرق من الجسم تبخر في الهواء وفي تبخره يجتذب جزءا من حرارة الجسم فتعرض له البرودة وإذا كان الهواء جافا وحارا ومتحركا كان التبخر عظيما ، والعكس بالعكس

ومقدار العرق في اليوم نحو ٧٢٠ جراما

تركيب العرق : اذا خرج العرق من الجسم يخرج معه شيء كثير من الفضلات الضارة ، وهو يمتزج بالمادة الدهنية التي تفرزها الغدد المذكورة سابقا ، ويختلط كذلك ببعض خلايا البشرة التي انفصلت عنها وهذه الخلايا فيها كثير من مادة الكبريت ، وهذه هي احدى الطرق لاخراج هذا العنصر من الجسم أما العرق فيشتمل على ماء كثير وأملاح متعددة أشهرها ملح الطعام ، وحوامض دهنية ومادة البولينا وهي التي تخرج بكثرة في البول وهي من أشهر

فضلات الجسم المتخلفة عن احتراق المواد الزلالية فيه - كما سبق -
ومما سبق تعرف العلاقة بين افراز السكلى وافراز الجلد ، فاذا كثر العرق قل
البول وبالعكس . وهذا هو السبب في قلة افراز البول اذا اشتد الحر في زمن الصيف .
لذلك كان من أحسن طرق علاج المصاب بمرض في السكلى أن تكثر عرقه بالتدفئة
أو بالحمامات الساخنة أو ببعض الادوية التي يعرفها الاطباء ، وبهذه الوسيلة تخرج
بعض الفضلات الضارة من الجسم بطريق الجلد فتستريح السكلى حتى يتم شفاؤها
وتوجد مواد كثيرة اذا تعاطاها الانسان خرجت بكثرة في العرق مثل الجاوي ،
وبعض الادوية حين خروجها من الجسم تهيج الجلد وتحدث فيه طفحا مخصوصا
كالزرنينج مثلا . ومثل ذلك سموم بعض الامراض فانها تحدث طفحا في الجلد .
وسأتي الكلام عليها في الجزء الثاني ان شاء الله

وتم مواد أخرى غير ما ذكر تخرج مع العرق في بعض الاحوال ، فقد شوهد
أن بعض الناس يتلون عرقهم بلون مغاير للون الطبيعي بسبب خروج دم فيه أو
بمخرج المادة الحمراء الملونة للدم . وقد يخرج في العرق مادة زلالية وذلك في مرض
الرثية (الروماتزم) الذي يكون فيه العرق أشد حموضة من المعتاد ، وقد يخرج
فيه أيضا حامض البنيك وذلك في الحمى النفاسية أو في داء الكساح أو الخنازير
الاستحمام : علم مما سبق أن الاغتسال ضروري للانسان لان تركه يسبب
تراكم تلك المواد المذكرة آنفا على سطح الجلد فتسد قنوات الغدد وتعوق افرازها ،
واذا قل افراز الجلد كثر مجهود الرئتين والسكليتتين فتصاب بالعطب . زد على ذلك
كون القذارة نحت من قدر المرء وتنفر الناس منه وتحدث بعض أمراض في الجلد
نفسه كالحمكة

ومن فوائد الاستحمام غير ما ذكر أنه ينشط الجسم وينبه المجموع العصبي
والدوري ، ولذلك أوجبه الشارع الحكيم بعد الجنابة لازالة ما يحدث للجسم من
الفتور بعد الجماع . والاستحمام يقوي المرضى والضعفاء ، ومن ذلك تظهر حكمة
اغتسال الحائض والنفساء لان هاتين الحالتين هما - من غير شك - مرضيتان
واحسن طريقة لازالة أوساخ الجسم هي استعمال الماء الفاتر أو الساخن مع

الصابون والدلك بالليف أو نحوه، ولا يخفى أن الدلك من أحسن الوسائل المستعملة في الطب الحديث لتقوية الأعصاب والعضلات وإزالة بعض الآلام، ولذلك يمدح بعض أطباء الأفرنج الإمام مالكاً رضي الله عنه لجعله الدلك من فرائض الغسل فإنه أكثر تقوية للجسم من الغسل وحده

أما الصابون فإنه يتولد من تأثير البوتاسيوم والصوديوم في المواد الدهنية أو الزيتية

أنواع الحمامات هي :-

(١) البارد وحرارته تكون أقل من حرارة الجسم بكثير

(٢) الفاتر وحرارته أقل بقليل

(٣) الساخن وحرارته مثل حرارة الجسم

(٤) الحار وهي مثل حرارة الجسم إذا أصابته الحمى الشديدة

والمياه الساخنة منبهة للجسم مزيله لآلام الروماتزم وغيرها ، ويصح لكل انسان أن يستعملها

أما المياه الباردة فالأولى أن لا يستعملها الانسان الا في زمن الصيف بشرط أن يكون صحيح البنية سليم السكتين والرئتين . وإذا أحس الانسان بعدها بحرارة في جسمه كان ذلك دليلاً على أن بنيته تتحملها بشرط السلامة من المرض

وينبغي أن يستعمل الانسان بعد الحمام البارد الدلك الشديد والتدفئة بالملايس الكافية والرياضة البدنية نحو نصف ساعة

وكذلك يجب في جميع الحمامات تنشيف الجسم من الماء تنشيفاً جيداً فان في ذلك وقايته من البرد، ويجب في الحمام الساخن أن لا يخرج الانسان منه دفعة واحدة الى الهواء البارد ، وأحسن وقت للاستحمام أن يكون في الصباح قبل الفطور أو بعد تناول لقيمات قليلة جداً مع فنجان من القهوة أو الشاي، ومن الضرر البالغ أن يغتسل الانسان بعد الجوع الشديد أو التعب الكبير أو بعد امتلاء المعدة بالطعام ، ولا يصح دخول الحمام عقب الأكل الا بعد مضي ساعة أو ساعتين على الأقل

ولا يجوز استعمال الماء البارد للشيوخ والعجائز ولا للمصابين بضعف القلب والماء البارد نافع جدا في الحميات وكذلك الفاتر، وهذا مصدق للحديث القائل «الحمي من فيح جهنم فأبردوها بالماء» — كما سبق — والمعالجة بالماء Hydrotherapy نجحت نجاحا عظيما في شفاء كثير من الأمراض الضعفية والأمراض التي تهك القوى العقلية ولازالة مضار الحياة الجلوسية

أما السبب في احساس الانسان بالحرارة عقب استحمامه بالماء البارد فهو تمدد أوعية الجلد وامتلاؤها بالدم بعد انقباضها عند استعمال الماء البارد وهو ما يسمى «برد الفعل» والواجب أن يكون زمن الحمام البارد قصيرا جدا (أي بضع دقائق) فان الغرض منه ليس تنظيف الجسم بل تقويته ، ويجب أن لا يكون الحمام الساخن في مكان فاسد الهواء كأن توضع فيه النار مثلا

وينبغي الاستحمام في الصيف مرتين في الاسبوع على الاقل، وفي الشتاء مرة واحدة ، وينبغي تغيير الملابس بعد الاستحمام، ومن هنا نفهم حكمة الشارع في سن غسل الجمعة ولبس أحسن الثياب يومه ، وفي فرض الغسل بعد كل جنابة ولو بالاحتلام ، وفرض طهارة الثوب

الملابس

الغرض من الملابس حفظ الجسم من البرد والحر والرياح والمطر والقاذورات وهي تدفئه وتحفظه من بعض العوارض وكذلك تزينه وتتخذ الملابس إما من الحيوان أو من النبات (١) ما يتخذ من الحيوان

فهو الصوف والوبر والشعر : وهي تؤخذ من الانعام كما هو معروف. وهذه الاشياء جمعا تغزل ثم تنسج ما عدا اللباد فانه يصنع بلاغزل ولا نسج ولتميز هذه الاشياء عن المواد النباتية يوضع جزء منها في محلول القلويات (١) الكاوية فاذا ذاب علم (١) كمحلول الصودا الكاوية أو البوتاسا الكاوية وعما عبارة عن هيدرات البوتاسيوم أو الصوديوم

أنه من أصل حيواني

والكشمير يتخذ من شعر معز بلاد التبت

وهذه الاصناف جميعا موصلة رديئة للحرارة وتمتص الرطوبة بسهولة وسرعة ولكنها تتبخر منها ببطء ، فلذلك كانت نافعة جدا في التدفئة . ومن معايها أنها تيس وتنكش بالغسل

الحرير : يفرز من غدتين بأسفل جسم دودة القز ، ولها قناتان تنفتح في الشفة السفلى لفم الدودة . والخيط الواحد عبارة عن خيطين دقيقين جدا ملتصق أحدهما بالآخر وطوله نحو ٤٠٠٠ ياردة

وتفرز الدودة هذا الخيط لتبني به بيتا حولها يحيط بها ويخفيها عن الاعداء ويحفظها من كل مايؤثر فيها مدة تحولها الى فراش ، ويسمى هذا البيت بالشرقة ، فاذا تحولت الى فراش ثقب هذا البيت وخرج منه ، فتزواج ذكوره باناثه وتضع الاناث ايضا صغيرا جدا كحجم رأس الدبوس الصغير يشبه بزور الخشخاش (أبي النوم) وهذه البويضات تنفقس فتخرج منها ديدان دقيقة وهي ديدان القز ، ولا تفرز الحرير الا بعد كبرها وتنام نموها ، وتتغذى هذه الديدان بورق التوت ، وفي بلاد المغول نوع آخر منها يتغذى بورق البلوط . وهاك تفصيل حياة هذه الدودة كما علمته بالمشاهدة أثناء تربيتي له: —

يبدأ بيض القز ينقسم في أواخر شهر فبراير أو أوائل مارس وقت ظهور ورق التوت ، ويكون الدود صغيرا جدا كالنمل ثم يكبر حتى يصير طول الواحدة نحو ٦ — ٨ سنتي متر . ويخرج الحرير في أوائل شهر ابريل ، ويقال إنه يمكن تربيته أيضا على ورق الخس ولكن حريره يكون أقل . وتتكون الشرانق فاذا تمت خرج الفراش منها بعد نحو ١٨ أو ١٩ يوما ، وتبدأ الاناث بوضع بيضها بعد نحو ٢٤ ساعة من خروجها . وعدد بيض كل نحو ٢٠٠ على الأقل . ويموت الذكر والانثى من الفراش بعد خروجه بنحو عشرة أيام . والانثى أكبر قليلا وأصغر يابضا

أما لون البيض الجديد فهو مصفر فاذا قدم صار رماديا . وهو مفرطح ومنبعج في وسطه . ولا يأكل الدود داخل الشرقة شيئا ولا يشرب ، وكذلك الفراش

ولون الشرنقة أبيض أو مصفر قليلا أو كثير، وشكله بيضاوي مخصر، وطول الشرنقة من اثنين ونصف الى ثلاثة ونصف سنتي مترا وعرضها واحد ونصف تقريبا . وقد يفتس البيض مرة أخرى في مايو أما خيط الحرير فله قلب محاط بمادة شمعية زلالية. ولتميز هذه الخيوط الحريرية عن الخيوط النباتية يوضع عليها حامض البكريك Picric^(١) ولونه أصفر فاذا تلونت به كانت حريرا صحيحا والا فلا

ولتميز الحرير عن الصوف مثلا يوضع القماش في محلول قلوي من أكسيد الرصاص فاذا تلون باللون الاسود دل ذلك على أنه صوف لوجود مادة الكبريت فيه فتتحد مع الرصاص وتحدث هذا اللون الاسود، أما الحرير فليس فيه هذه المادة الكبريتية

والحرير يمتص الرطوبة بكثرة وهو موصل رديء للكهرباء، ويقال انه يحفظ الروائح وجراثيم الامراض

ولا يحتاج الجسم الى لبس الحرير الا اذا كان مصابا بداء الحكمة، ولا شك أن الشارع يبيحه في مثل هذا المرض فقد لبسه بعض الصحابة بأمر رسول الله (ص) في ذلك المرض، لان الضرورات تبيح المحظورات

ويؤخذ من الحيوانات أيضا الفرو والويش والجلود . أما الفرو فيستعمل في البلاد القطبية ، والریش يستعمل للزينة غالباً، والجلود تستعمل في الاحذية وغيرها

(٢) ما يتخذ من النبات

القطن : وهو خيوط تحيط ببزور شجرة معروفة تنبت في البلاد الحارة والمعتدلة كمصر ، وهذه الشجرة هي حقيقة شجرة مباركة. فتطبخ ضروري للملابس والاثاث وغير ذلك، وبزورها يستخرج منها زيت جيد نافع في التغذية يسمى في مصر بالزيت الخلو . وهذه البزور تستخرج منها خلاصة تدرب لبن المراضع ، وكذلك اذا أعطيت للانعام كترابنها ، وهذه الخلاصة تباع باسم (Lactagol) تصنع في المعامل الافرنجية . وتستعمل سيقان هذه الشجرة في الوقود وقشر جذورها مجفف للحبلى

(١) كلمة يونانية معناها « مر »

[المنار: ج ٦ م ١٨] الكتان والقنب . ألوان الثياب وسعتها ٤٤٥

والقطن كالصوف يغزل أولا ثم ينسج لصناعة الأقمشة منه ، وهو عبارة عن مادة السلولوز المتقدم ذكرها

وإذا وضع القطن في محلول الصودا الكاوية تحول الى مادة تشبه الحرير ، وهي التي تصنع منها أكثر الأقمشة المسماة كذبا حريرا

وخيوط القطن تتحمل الغسل والغلي ، وهي تمتص الرطوبة امتصاصا رديئا وتوصل الحرارة جيدا ولذلك كانت للملابس القطنية مبردة

الكتان : يؤخذ من سيقان شجرة مخصوصة بأن نخمر هذه السيقان في مكان رطب ثم تدق الى أن تتفرق خيوطها ثم تمشط ، ومن بزور هذه الشجرة يستخرج الزيت المسمى بالزيت الحار . وهو فضلا على كونه مغذيا مدر للبول ومنفث للباغم ، وتستعمل هذه البزور أيضا في عمل الضمادات (اللبخ) . والملبوسات الكتانية موصلة جيدا للحرارة وامتصاصها للرطوبة رديء كالقطن ولكنها أغلى ثمنًا منه لنعومتها وبريقها

القنب : يؤخذ من سيقان شجرة أخرى كما يؤخذ الكتان ولكنه خشن جدا وقل ان يستعمل الا في الحبال والقلاع والا كياس الخيشية . ومن هذا النبات يؤخذ الخشيش ، وهوتلك المادة المغوية الملعونة . وبزر القنب يستعمل اغذاء الطيور

ألوان الملابس وسعتها

أما ألوان الملابس فتأثيرها في الحرارة كما يأتي : الأبيض يمتص الحرارة امتصاصا رديئا جدا فهو أبرد هاء ، يليه الأصفر فالأحمر فالأخضر فالأزرق فالأسود ، ولذلك اذا وضعت قطعة من ثلج في قماش اسود وقطعة أخرى في قماش أبيض ذابت الاولى أسرع من الثانية لان الأبيض يطرد الحرارة والاسود يمتصها وتنفذ منه الى الثلج ، وكذلك يرتفع زئبق الترمومتر درجات أكثر اذا وضع على قماش اسود ومن الخطأ لبس الملابس الملونة فوق الجلد مباشرة فان أكثر الألوان تشمل على مادة سامة فتمهيج الجلد ، واذا امتصت منه افسدت الصحة

ويجب أن تكون الملابس غير ضيقة والاعاقت الدورة والتنفس وشوهدت شكل الاعضاء كمشردات الافرنج وأحذية أهل الصين . ولبس الاحذية الضيقة ضار جدا

بالأقدام فقد يغوص بعض الاظفار في اللحم ويحدث قروحا والتهابات تؤذي الشخص أذىً بليغاً زعل على هذا ما تحدثه الأحذية الضيقة في بشرة القدم من الحلمات الصلبة المؤلمة

نظافة الملاهي

أما نظافة الملابس فهي واجبة طباً وشرعاً لقوله تعالى (وثيابك فطهر) فهي فرض على المسلم وإن لم يشترطها بعضهم في صحة الصلاة

وأما المضار الناشئة من قذارة الثوب فهي عديدة واليك بيان بعضها:

(١) اذا تراكم العرق والافراز الدهني في الملابس منعها امتصاص العرق وعاق الجلد عن تأدية وظيفته وأحدث حكة فبشورا أو دمامل . وهذا هو أهون المضار

(٢) اذا اتسخت الملابس كثر فيها القمل والبراغيث وهما من أشد الحيوانات فتكا بالانسان ، فان القمل ينقل الى الانسان الحمى التيفوسية والحمى الراجعة ، والبراغيث تنقل اليه الطاعون فللوقاية من هذه الامراض الفتاكة يجب تطهير الملابس من سائر الحشرات

(٣) الملابس القادرة كثيرا ما تكون سببا في نقل العدوى من شخص الى آخر اذا تناقلها أو لمسها، فمثلا الجرب والارضة الجلدية (تينيا) كثيرا ما تنقل بهذا الطريق. واذا تنجس الثوب بالبول أو البراز أو الصديد أو الدم كأن سببا في نقل الحمى التيفودية والدوسنتارية والديدان الخيطية والرمم الصيدي والزهري وغير ذلك . واذا كان الشخص من حاملي الامراض - وسيأتي بيان ذلك - كانت بعض مفرزاته معدية ولو كانت صحته جيدة

وحيث ان طهارة الثوب فرض وهذه الطهارة لا تكون تامة الا اذا خلا الثوب من البول والبراز وغيرهما وخلوه منهما لا يكون الا بالاستنجاء فينتج من ذلك أن الاستنجاء فرض على المسلم

وأحسن طريقة لتطهير الثوب أن يغلى غلياً جيداً نحواً من نصف ساعة ثم بعد ذلك يغسل بالماء والصابون ثم ينشر في الشمس كالعتاد. ولا عيب في هذه الطريقة إلا أنها تجرد المواد الزلالية كالدم والصد يد فيفسد أزالتهما تماماً من الثوب، أما غسله

بالماء البارد قبل الغلي فيذهب تلك المواد بسهولة ولكنه يلوث الايدي والماء فاذا اتبعت هذه الطريقة الاخيرة وجب غسل الايدي غسلا جيدا وتطهيرها بوضعها في مادة مطهرة كالغول (الكحول) وغيره، والواجب ان يغلى الماء الذي غسلت فيه قبل أن يلتقى منعا لانتشار الامراض بين الناس

فصل

في تنظيف الجسم كله تفصيلا

﴿ مع بيان فوائد ذلك وتطبيقها على الدين الحنيف ﴾

نظافة الرأس تكون بحلقه أو قصه ثم يغسل بالماء الساخن والصابون مع ذلك بشيء خشن كالليف . ولم ينه الشارع عن الحلق الا في الاحرام ولكنه أباحه لمن به مرض أو أذى من رأسه. والحلق واجب طبيا لإزالة الحشرات ولتمكين الأدوية من برء أمراض الشواة (جلدة الرأس) ولعلاج جروحها أو كسور عظامها ولوضع الضمادات الباردة فوقها في الصداع أوضربة الشمس أو النزف النخي أو غير ذلك . وإذا أبت امرأة حلق رأسها لوجود قمل أو صئبان فيه أمكن اذهاب ذلك بهصب زيت البترول فوق شعرها فإن ذلك قاتل للقمل ، وحمض الخليك بنسبة ١ - ٤ يسهل استخراج الصئبان من الشعر - كما سبق -

وإذا تركت نظافة الرأس أضرب الانسان القمل وحدث برأسه قروح وبثور وأمراض أخرى كالقراع فيتسمم دمه بما في رأسه من القروح وقد تصيبه الحمرة أو تلتهم العقد اللمفاوية في العنق أو يصيبه داء الخنازير

غسل الوجه واجب كذلك وخصوصا لتنظيف العينين فإن ذلك يقيهما من أرماد كثيرة، والاحسن ان تغسل العينان في كل يوم مرة أو مرتين بمحلول حامض البوريك المشبع (أي بنسبة ٤ في المائة) بعد الغسل بالماء والصابون

أما نظافة الاذن فيكفي أن تغسل كما تغسل في الوضوء ولا يجوز اللعب في داخلها بشيء فإن ذلك قد يحدث التهابا فيها أو يثقب طبقتها. وحركة الفكين في

٤٤٨ نظافة الفم والاسنان والاذن ونحوها [المنار: ج ٦ م ١٨]

المضغ وغيره كفيلة باخراج أظفارها (وسخ الآذان) وعندئذ يسهل غسله، وإذا أهملت الآذان من الغسل يعرض لها صمم من تراكم الأوساخ فيها وطين مع دواره، وقد يحدث ألم فيها، وسعال مستمر

غسل الأنف يكون بالاستنشاق والاستنثار، أما تنف شعره فمذموم وقد ورد في بعض الآثار ما يفيد مدح نبات شعر الأنف. وحكمته أن هذا الشعر ينقي هواء التنفس من التراب والميكروبات وغيرها

نظافة الفم هي من أكبر المهمات وتكون بالمضمضة والسواك ولذلك كاد الشارع أن يفرضه، ويرى بعض أطباء الأفرنج الآن أن السواك خير من مسفرتهم (فرشتهم) لأن السواك يمكن تجديد طرفه المستعمل مرارا كثيرة أرخص منه، أما الفرشة فلا يمكن تجديد شعرها فتتراكم فيها أنواع الميكروبات الضارة بالاسنان ولذلك قال بعض أطباء الاسنان إن السبب في انتشار أمراضها بينهم هو استعمال هذه الفرشة ونصحهم باستعمال السواك وتجديده كثيرا أو بغلي الفرشة بعد كل استيائك

أما مرض الاسنان فانه مؤلم جدا ومفسد للهضم ويحدث منه تسمم في الدم فيصفرلون الشخص وتضعف قواه، وقد يصيبه داء الخنازير أيضا، وإذا مرض ضعفت مقاومة جسمه عن احتمال الأمراض فلذا كان الواجب العناية بنظافة الاسنان نظافة تامة أما الشارب فالأفضل قصه فانه تترام فيه الأوساخ والميكروبات فتصل الى طعام الانسان وشرابه. ولا بأس بترك اللحية لانها بعيدة عن ذلك وهي مظهر من مظاهر الرجولية

الابطان يجب تنفها أو حلقها منعا لتراكم القمل أو الميكروبات فيهما، وقد تتولد عفونات فيهما تحدث روائح كريهة، ومن الميكروبات التي تنحى في الأبط ما يحدث العرق الأحمر

وكذلك يجب تقليم الأظافر وتحليل ما في الأيدي من الثنيات فإن وجود الميكروبات فيها وتحت الأظافر ضار جدا لسهولة وصولها الى طعام الانسان وشرابه ومن أشهر الأمراض التي تصل بهذا الطريق هي الحمى التيفودية ولذلك يجب

[المنار : ج ٦ م ١٨] نظافة العانة. الاستنجاء. نظافة القدمين والجسم كله ٤٤٩

غسل اليدين غسلا جيدا قبل كل طعام. ومن الامراض التي كثيرا ما تصيب الايدي داء الجرب، فان حيويته اذا وصل الى الايدي ولم يطرد عنها بالتنظيف المتوالي ثقب الجلد وأحدث هذا الداء. وأحسن الوسائل المتبعة لوقاية الطعام من كثير من الميكروبات الاكل بالشوكلات والملاعق واستعمال السكاكين

ويجب حلق العانة وكذلك الختان منعاً لتراكم القمل والصئبان في شعر العانة وتجمع القاذورات تحت القلفة وقمل العانة هذا هو قمل الابط والحية وغيرها فاذا يمكن انتشاره من العانة الى مواضع أخرى من الجسم حتى الحواجب واهداب العين، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر العظيم. وفي حلق العانة شيء من تحريك داعية الوقاع لتبيح هذا المكان عند نبات الشعر

ومن مستلزمات نظافة السبيلين الاستنجاء، وذلك للمحافظة على طهارة الثوب المفروضة ومنع الروائح الكريهة وانتشار الامراض، وقد بقي الانسان أيضا من السيالان والافرنجي. ويكون الاستنجاء باليد اليسرى، ولا ينبغي الاكل بها. ويتحتم غسل الايدي بعد كل استنجاء غسلا جيدا، وكذلك يجب بلها بالماء قبله لمنع تشرب اليد للمواد الكريهة وللميكروبات بقدر الامكان

ومن الواجب أيضا نظافة القدمين وتكون بالغسل الجيد المتكرر والتخليل، فان ذلك مانع لتسلخاتهما ولروائحهما الكريهة. فانه اذا تراكت الاوساخ فيهما فقد يعرض للاخصبين ولما بين الاصابع تسلخات ربما ادت الى التهاب في العقد الأربية ونشأ عنه حمى وخراج في ذلك الموضع، وتلك التسلخات مؤلمة وتعوق الانسان عن المشي وتعطله عن أعماله

وبعد ذكر هذه النظافة التفصيلية يجب علينا تكرار الحوض على تنظيف سائر الجسم ودلكه جيدا بالماء والصابون، فان نفع ذلك معلوم مما سبق. ويجب علينا تكرار ذكر ما للقمل من المضار - خصوصا قمل الجسم أو الملابس - فانه فضلا عن نقله للحميات المذكورة قد يكون هو وحده سببا في احداث حمى شديدة كما قلنا - وذلك اما بسبب تهيج اعصاب الجسم بلدغه أو بحرق سموم (المنار: ج ٦) (٥٧) (المجلد الثامن عشر)

٤٥٠ النجاسات ووجوب التطهر منها ولو كانت قليلة [المنار: ج ٦ م ١٨]

في الجسم من افرازه، فقد شوهد ان بعض الناس قد أصابته حمى في منتهى الشدة حتى زادت حرارته عن أربعين، وعند البحث في جسمه لم يوجد به مرض ولم يكن هناك سبب لتلك الحمى سوى وجود قمل كثير، وبعد النظافة التامة زالت عنه الحمى في الحال

زد على ذلك ما للقليل من المضار الأخرى كقلق راحة الإنسان ومنع النوم عنه واحداث بثور في الجسم من الحك

القاذورات والنجاسات

القاذورات التي نعتبرها ضارة طباً هي عين النجاسات المعروفة شرعاً، وأشهرها البول والبراز والدم والقيح أو الصديد والقيء والمني. ولم يعتبر اللعاب والمخاط من الشخص السليم ضاراً في الشرع لانه حقيقة لا يوجد فيه ميكروب يضر الإنسان ضرراً بليغاً اللهم الا ميكروب التهاب الرئوي والميكروب القاعبي (الذي ذكر في صفحة ٦٩ من هذا الكتاب) ولكن هذين الميكروبين وغيرهما يسكنان عادة في فم كل شخص، ولا يضرانه الا اذا ضعفت بنيته عن مقاومتها، ولذلك كان الاحتراس من لعاب الشخص السليم ومخاطه لا فائدة كبيرة فيه أما البلغم فهو شيء غير المخاط العادي إذ انه يشتمل على شيء من الصديد وغيره كبغم المسلولين وهو خطر جداً، فيجب اعتباره نجساً لاشتماله على الصديد او الدم كما ثبت ذلك بالبحث المجهري. وقد نص الفقهاء على أن كل ما يخرج من الصدر من مخاطة وغيرها نجس

وقال فقهاء الحنفية ان ما زاد من هذه النجاسات عن قدر الدرهم وجب تطهير الثوب وغيره منه، ولا يخفى أن المصاب بالسل وغيره من الامراض الصدرية يخرج من فمه كثيراً من الصديد الذي قد يزيد عن قدر الدرهم

فلذا كان الواجب عندهم أن يتطهر الإنسان من البلغم اذا أصاب ثوبه بهذا المقدار كما يتطهر من البول والبراز فانه لا فرق بينهما وكلاهما ضار ضرراً بليغاً. على أن الامام الشافعي يرى أن القليل والكثير من النجاسات سواء، فيجب التطهر

حتى من قليل البلغم الذي يخرج من الصدر

نظافة البيوت وشروطها الصحية

من مقتضى الطهارة في الاسلام ان يكون مكان الشخص نظيفاً طاهراً لئلا يتنجس ثوبه فطهارة البيوت — فضلاً عن كونها واجبة طبياً — هي واجبة شرعاً ومن أكثر الاسباب نشراً للأمراض أن يدوس الانسان في الطريق على ما يلقى فيه من القاذورات وميكروبات الأمراض ثم يأتي الى بيته ولا يخلع نعليه فان ذلك ما ينشر في البيوت أكثر الأمراض كالذئب والسل وكثيراً من الجيادات العفنة فالواجب أن تكون أرض البيت وفرشه وحيطانه وسقفه وكل ما حوى في غاية النظافة بحيث لا تتلوث بشيء من النجاسات المذكورة آنفاً . وكذلك يجب أن تنظف من القمل والبق والبعوض (الناموس) والذباب والفيضان والبراغيث وغير ذلك بأن تسد جميع شقوقها ويتكرر تنظيفها خصوصاً بالجير أو نحوه ، تغسل أرضها ويصب في مراحيضها شيء من البترول ^(١) لقتل العلق (صفار الناموس) ويبيضه وينبغي ان تكون المساكن طليقة الهواء ذات منافذ كثيرة معرضة لاشعة الشمس بعيدة عن الاماكن الرطبة . والافضل أن تكون مراحيضها في الجهة الجنوبية بمصر — أو ما يقابل الجهة التي يكثر الهواء منها في كل بلد — وتكون حيطان هذه المراحيض مصقولة صقلاً جيداً بحيث لا تنفذ المياه منها الى أرض المنزل فتملأه بالرطوبة والروائح الكريهة وتفسد هوائه ، ويجب ان يكون لمثل هذه المراحيض منافذ كالداخن تعلو فوق سطح المنزل من الجهة الجنوبية لتصرف الروائح الكريهة . فاذا اتبعت جميع هذه الشروط وكانت الشوارع متسعة كانت المساكن صحية .

ومن الناس من يجمع المواد البرازية وغيرها في أواني مخصوصة ثم تحمل الى خارج المدن ، وذلك خير من تلويث أرضها بها . والافضل من ذلك كله أن يعمل لها مجار صقيلة (كقنوات مواسير) الحديد لتحمل هذه المواد الى مستودع بعيد عن المدينة ^(١) وذلك بنسبة أوقية من هذا الزيت لكل ١٥ قدماً مربعة من سطح ماء المراحيض أو غيره كالمستنقعات

كلها بعدا شاسعا. وينبغي الانتباه الى هذه المواسير جيدا بحيث لا ينفذ منها شيء الى ما يجاورها عادة من قنوات الماء والسكنى في الاماكن الرطبة العفنة مضغفة للصحة بافسادها الهواء واحداثها البرودة واكثر الميكروبات فيصاب الشخص بالزلات الشعبية والرئوية ونزلات الأنف والحلق والتهاب اللوزتين بل الدفتيريا أيضا والروماتزم وغير ذلك والواجب أن تكون أفواه المراحض حيث يتبرز الانسان مسدودة بمثل المنجنيق أو السيفون^(١) Siphon المستعملين الآن وماء السيفون يذيب الغازات ويمنع أكثرها من الدخول في البيت ، وكذلك يعوق خروج البعوض والخنفس والصراصير والفيران. ويجب تجديد ماء السيفون مرارا حتى في اليوم الواحد وأعظم ضرر للنوع المسمى (Anopheles) من البعوض - الناموس - هو احداث حمى التافض (الملاريا أو الحمى الاجمية) ومن الناموس ما ينقل أيضا الحمى المالطية والجذام - كما سيأتي - وأما أهم ضرر للجذان (الفيران الضخمة) فهو أنها تصاب بالطاعون الذي ينتقل منها الى الانسان بواسطة بعض أنواع البراغيث وأما البق فقد ينقل الطاعون أو الجذام وغيرها وأما الخنافس والصراصير والنمل فضررها الاكبر أنها تنقل القاذورات والميكروبات من المراحض وغيرها الى طعام الانسان وشرابه وملبسه وفرشه وكفى بذلك ضررا عظيما

المطهرات

علمنا سبق أن أصل جل الامراض - ان لم نقل كلها - هو القاذورات بما فيها من الميكروبات^(٢) وسمومها ، فلذا يجب معرفة بعض الاشياء القاتلة لهذه الاحياء ١ كلمة يونانية معناها الاجوف أو الفارغ (٢) لفظ يوناني معناه حرفيا الاحياء الصغيرة يطلق في الاصطلاح على الاحياء الأولية التي تتركب في الغالب من خلية واحدة. وعبر عنها المنار بالجنة والجن - بالكسر فيهما - لدلالة مادتها على العوالم الخفية

الدينثية ، وهي السمات بالمطهرات

وأشهر هذه المطهرات وأكثرها استعمالا ما يأتي : -

(١) الشمس فان أشعتها تقتل الميكروبات

(٢) النار وهي أقوى المطهرات وأسهلها وتستهلك كثيرا في غلي الأشياء الملوثة .

ولما كان بعض بزور الميكروبات (حبيباتها) قديقاوم درجة الغليان (أي درجة ١٠٠) لمدة ٥ أو ١٠ دقائق فلذا يجب إطالة مدة الغلي فوق ذلك . فاذا أصيب شخص بمرض معد فالوقاية منه يجب غلي ملابسه وفرشه وجميع ما استعمله في مرضه كالأواني وغيرها . أما الأشياء التي لا يمكن غليها كقطن الفراش ونحوه فهذه تطهر بوضعها في أفران مخصوصة يسلط عليها البخار في درجة الغليان مدة ساعة حتى ينفذ الى باطن ما فيها من الأشياء

(٣) الحوامض كحامض الهيدروكلوريك والنيتريك (ماء النار) وهي كلها

مطهرة تطهيراشديدا ، ولذلك جعل الله تعالى في عصير المعدة حامض الهيدروكلوريك

- بنسبة ٢ في الالف - فان من أعظم فوائده تطهير الطعام والشراب

(٤) الجير ويستعمل لطلاء الخيطان والسقف وغير ذلك . واذا وضع في

سطل (جرادل) المواد البرازية نفع نفعا عظيما ، ويستعمل لهذا الغرض بنسبة واحد

أو اثنين منه الى عشرة من الماء

أما ماء الجير - وهو الذي يتحصل عليه بإذابة الجير في الماء المقطر حتى يتبع به

سم يصفى - فانه مطهر ، مانع القيء والاسهال ، مصلح لهضم اللبن في معدة الأطفال

وقو اعظامهم ، ويمكن مزجه باللبن بنسبة واحد الى واحد أو واحد الى اثنين من

اللبن ، ويمكن أيضا شربه بدون مزج باللبن بمقدار أربع أوقي . واذا مزج

الجير بزيت الزيتون أو بزيت بزر الكتان بنسبة واحد الى واحد من كل جزء

كان دهانا نافعا في الحروق - كما سيأتي -

(٥) الغول النقي (الكحول الخالص) مطهر عظيم يسهل الحصول عليه

لايدي كلما مست مريضا

(٦) البوريك بنسبة ٤ في ١٠٠ مطهر لطيف للاميين - كما سبق - واذا وضع في

اللبن بنسبة واحد الى ألف مثلا حفظه من الفساد مدة، ولذلك يستعملونه في حفظ كثير من الاطعمة، ولكن استعماله لمدة طويلة قد يضر بالجسم وينقص وزنه (٧) الفنيك يستعمل بنسبة واحد الى عشرين لغسل الايدي وغيرها (٨) الليزول — ولونه وقوامه كالعسل الاسود — يستعمل بنسبة واحد الى المئة عادة

(٩) الايزال — ولونه كالطحينة المضاف إليها شيء من الماء — يستعمل بنسبة واحد الى ميتين أو واحد الى أربع مئة. ويستعمل في الاسهال باضافة ١٥ نقطة منه على كل رطل مصري من اللبن، فانه نافع فيه وكذلك في الدوسنطاريا وهذه المواد الثلاثة الاخيرة تستخرج من قطران الفحم الحجري ومن المطهرات أيضا السليمانى (وهو مركب زئبقى يستعمل عادة بنسبة ١ الى ٢٠٠٠) واملاح النحاس (كالتوتيا الزرقاء) واليود والفلسرين. وغير ذلك كثير، وكلها مطهرات عظيمة النفع

النظافة والعلاج

كما أن النظافة عليها مدار حفظ الصحة هي أيضا الاصل الاصيل لعلاج جميع الامراض والجروح وسائر العوارض الجراحية فان علاج ذلك كله مبني على النظافة والتطهير، اذ يكفي لعلاج أي جرح وعمل أي عملية جراحية أن يكون كل ما تستعمله مطهرا طهارة تامة حتى اذا بقرت البطن بآلة طاهرة أمكن درء الموت عن المصاب بكل سهولة بالتزام النظافة، ويكفي في علاج جميع الاصابات والحروق ونحوها أن تنظف نظافة تامة ويتكرر ذلك يوميا حتى يبرأ الجرح. ويكفي في الغالب أيضا لعلاج أي جرح أو سحق أن يغسل بالماء المغلي وأن يضمّد بالقطن والاربطة المطهرة — إما بالنفلي أو بالبخر الساخن — بدون احتياج الى أي دواء آخر وفائدة تضميد الجروح هي منع كل ما يوصل الميكروبات الى الجرح كالاتربة والذباب والهواء والايدي والماء غير المغلي، وبالضاد أيضا يقف النزف بسبب الضغط على الجرح، وبه أيضا تحصل راحة المكان المجروح من الحركة. وهذه

الاشياء كلها هي اهم ما يطلبه الجرح من العلاج ، وأسها كلها النظافة التامة
وخلاصة ما تقدم كله أن العاقل يجب عليه أن يكون نظيفا في جسمه وملبسه
وفراشه ومسكنه وما كاه ومشربه وفيما يعالج به أمراضه وإصاباته
تذيل للفصول السابقة في الذباب ومضاره

لا يخفى ان من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل
منها الى طعام الانسان أو يسقط في شرابه أو يقف حول عينيه وبذلك تنتقل جراثيم
الامراض الى الانسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع، ومن أمثلة ذلك وقوفه على
أهين المصابين بالرمم الصيدي ثم انتقاله الى العين السليمة فتصاب بهذا الرمم،
ومن أسباب انتشار الحمى التيفودية بشكل وبائي وقوف الذباب على البراز
مثلا- اذا لم يدفن في الاوض دفنا جيدا- فيتلوث الذباب بمكروب التيفود وبعد
ذلك يقف على الخبز مثلا . ومثل التيفود الهيمية (الكوليرا) والدوسنتاريا

ومن الذباب ما يلدغ بعض الحيوانات المصابة بالجرة الخبيثة ثم يأتي الى
الانسان فيلقحه بهاء ومنه ما ينقل بلدغه مرض النوم وغيره من شخص لآخر. ويقال
ان البلاغرا تنتقل أيضا بلدغ بعض أنواعه - كما سبق - ومن المحقق ان حمى ثلاثة
الايام وسبعة الايام والحمى البسيطة المستمرة في الهند كلها تنتقل بلدغه ، وحمى
ثلاثة الايام تسمى أيضا بابانتسي وسميت بذلك من اسم الذباب الذي يحدتها
[Phlebotomus pappatasi] وميكروب هذه الحميات وراء المجهر على ما يظهر
ومن مضار الذباب أيضا انه قد يضع بيضه في الجروح أو في الآذان أو في
تجاويف الانف فيفقس هذا البيض ويخرج منه النف (وهو ما يسمى الآن
بالبرقات ويشبه الدود) وهذه الديدان تأكل من جسم الانسان وتحث
فيه التهابا شديدا، واذا أصابت جروحه آلمته ايلاما شديدا ويحصل بنسبها أيضا
التهاب الجرح وحمى ، وتعوق برء الجرح مدة مديدة حتى أن الجرح لا يشفى
الا اذا خلى منها . ومن أنواع هذه الديدان ما يأكل جثث الموتى

وقد قرر أطباء الانكليز ان من أعظم أسباب انتشار الحمى التيفودية بين

الجنود في حرب الترنسفال (من سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٢) كان الذباب وساعده في ذلك الريح بنقل الاتربة الملوثة بالبراز الى طعام الجنود فلذا يجب ازالة جميع القاذورات من حول الانسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفنا جيدا أو إبادةها بأية طريقة بحيث نأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله اليها، وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفنيك أو الفورمالين عليها وإذا وقف الذباب على الأعين وجب طرده في الحال، وإذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالأسلم تطهيرهما بالنار. وكما كثر الذباب وجب السعي في إبادة بقدر الامكان، واعلم أن الذبابة الواحدة تضع نحو ٩٠ بيضة، وحياتها لا تتجاوز ثلاثة أسابيع أما مارواه البخاري عن أبي هريرة من ان النبي (ص) قال « اذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء » فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها كحديث « خلق الله التربة يوم السبت » مثله وغيره مما ذكره المحققون، وكما فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على أن النبي (ص) قاله بلفظه مع ما افاته العلم وعدم امكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال (إن كان جامدا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي وإن كان ذائبا فأريقوه أولا تقربوه) فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء اذا وقع فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفيران عظيم. على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بن الصحابة أنفسهم خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته. (١) وغاية ما تقتضيه صحة السند

(١) اليك شيئا من تاريخ حياته : —

أسلم رضي الله عنه سنة (٧) هجرية ، فصحب النبي ثلاث سنين ولم يكتب شيئا من الحديث ، وقال عن نفسه إنه كان كثير النسيان فدعى له الرسول - كما قال - فذهب عنه ذلك . وكان قصيرا أكل لا يطعم كل يوم من بيت النبي أو من بيت أحد أصحابه ، فكان يحب أن يتودد الى الناس ويسليهم بكثرة التحديث والاغراب في القول ليشته ميلهم إليه . وربما كان مصابا بالصرع - كما يستفاد =

في أحاديث الآحاد الظن فلا قطع بأن هذا الحديث من كلام النبي (ص) وكانوا يروون الحديث بالمعنى فيجوز أن يكون لفظ الراوي لم يؤد المعنى المراد والله أعلم وهب أن الرسول قال ذلك حقيقة فمن المعلوم أن المسلم لا يجب عليه الأخذ بكلام الأنبياء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع ، بل الواجب عليه أن يمحصها ويعرضها على العلم والتجربة فان اتضح له صحتها أخذها والا علم أنها مما قاله الأنبياء عليهم السلام بحسب رأيهم ، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك = من بعض الروايات الواردة في ترجمته - والصريح مرض مشهور عند الأطباء يورث ضعف العقل أو الجنون

روى بعد وفاة رسول الله (٥٣٨٤) حديثاً حتى ضج منه كبار الصحابة رضي الله عنهم وملوا كثرة حديثه ، وقالت له عائشة (إنك تتحدث بشيء ما سمعته) ولما سمع الزبير بعض حديثه قال (صدق كذب لأنه سمع هذا من رسول الله ولكن منه ما وضعه في غير موضعه) - راجع تاريخه في كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر -

وروى ابن عساكر في تاريخه عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة (لتترك الحديث عن رسول الله أو لأخفك بأرض دوس) وما روي عنه أنه قال (لقد حدثكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة) يعني السوط . وروى الطبراني في الكبير عنه أنه قال قال رسول الله (إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس) وقال أيضاً إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من حدث عني حديثاً هو لله عز وجل رضا فانا قاتله وإن لم أكن قتله) كما رواه ابن عساكر في تاريخه عنه مع أن المروي بالتواتر عن رسول الله أنه قال (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار) رواه مثنان من الصحابة وهو ينافي ما قاله أبو هريرة ، وهذا الحديث اضطر عمر لتذكيره به حينما بلغته كثرة حديثه كما في « الاصابة » أيضاً مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٥٧ هجرية

هذا وإنما نقلنا ما نقلناه هنا من تاريخ أبي هريرة ليكون تذكرة وهداية لأهل القول الراجحة الحرة والنقد الصحيح ، لكيلا يغتر أحد بمثل تلك الأحاديث المنافية للعلوم المصرية المبنية على الحس والملاحظة والبحث الدقيق . ومن شاء زيادة الايضاح فليقرأ ما كتبه في مجلة الحياة في الجزء الخامس من المجلد الرابع الصادر سنة ١٣٢٥ هجرية

وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه من شاء . ومما رواه فيه عن النبي (ص) قوله « إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فأنما أنا بشر أخطئ وأصيب » (*)

(*) المنار : اذا كان حديث الذباب مرويا بلفظه فيحتمل ان يكون مبنيا على رأي كان متقولا فذكر على ظاهره ، ويحتمل أن يظهر بعد ما يزيل ما فيه من الاشكال . وهو على كل حال ليس من عقائد الدين ولا من أحكامه ، بل هو من قبيل مسألة تنقيح النخل فقد رآهم (ص) يلتفحون فقال « ما أظن ذلك يعني شيئا » فتركوه ، فأخبر بذلك فقال « ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فاني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فاني لن أكذب على الله » وفي حديث رافع بن خديج انه (ص) انكر ذلك لما قدم المدينة مهاجرا ، أي ولم يكن يعلم من أمر النخل شيئا ، وأنه قال لهم « لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا » فتركوه فنقصت أو فنقصت فذكروا له ذلك فقال « إنما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فأنما أنا بشر » وفي حديث عائشة وأنس أنه قال « لو لم تفعلوا الصلح » فخرج شيعسا (أي خرج التمر رديئا) فربهم فقال « ما انخلكم ؟ » قالوا له قلت كذا وكذا . قال « انتم أعلم بأمر دنياكم » روى ذلك كله مسلم في صحيحه

وأما كلام الكاتب في أبي هريرة (رض) فهو كلام من يسيء الظن فيجمع من الاقوال ما يؤيد ظنه . وفي قوله نظر . فاما الصرع أو الاغماء فقد صح أنه كان من الجوع لا من المرض ، وأما ما روي عن الطبراني وابن عساكر من أسناده حديثين يدلان على استحلاله ان يقول على النبي (ص) ما لم يقله فنمنع أن يكون قد صح عنه ، وقد رووا عنه أنه كان يبدأ بتحديثه بحديث « من كذب علي متعمدا » الخ وأما استغراب بعض الصحابة لكثرة حديثه فقد بين هو لهم سببه . وهو ملازمته للنبي (ص) أي مع جودة حفظه وأما عمر فقد أنكر على غيره كما أنكر عليه كثرة التحديث لحكمة ليس هذا محل بيانها

وقد ثبت أنه كان من أجود الناس حفظا . ولا يسهل الحكم فيما روي عنه من المشكلات التي انفرد بها الا اذا جمعت واحصيت اسانيدھا . وكان يروي عن كعب الاحبار مصدر الغرائب الاسرائيلية الكثيرة . وقد كان من أسباب الغلط في الحديث حسيان الموقف الذي لا مجال للرأي فيه من قبيل المرفوع ، وقد يغلط بعضهم فيسندھ الى النبي (ص) وهو من الاسرائيليات لا من الرأي ، فينظر في ذلك وغيره عند تمحيص تلك المشكلات .

الحرق

الحرق يحصل عادة إما بالنار أو بالسوائل المغلية وهو خطر جدا على الحياة، وخطره يختلف بحسب اتساعه وعمقه ومكانه وعمر المصاب؛ فإذا أصاب الشخص حرق بسيط وعم جسمه كان خطرا على الحياة خصوصا في زمن الصفر، وحروق الرأس والصدر والبطن هي أشد الحروق خطرا. والغالب أن الحروق النارية أشد أذى بالجسم من حروق المياه المغلية لأن المياه تبرد بسرعة وتسيل من على الجسم. أما السوائل التي كالزيت أو المعادن المصهورة، فلا تصاقها بالجسم فتفتك به فتكا ذريعا. ويتميز الحرق الناري عن الحرق المائي بأن الأول يحترق فيه الشعر والملابس بخلاف الثاني

والحرق أعراض موضعية وأعراض عمومية

أما الأعراض الموضعية فتقسم الى ست درجات :-

- (١) احمرار الجلد بدون اتلافه، والاحمرار يحصل بسبب كثرة ورود الدم اليه
- (٢) تكون الفقاع بالجلد، وذلك بانسكاب بعض السوائل من أوعية الدم تحت الطبقات العليا للبشرة. وعند شفاء مثل هذه الدرجة تولد طبقات جديدة للبشرة من الطبقات التي تحتها وقد يتلون الجلد بلون يخالف المعتاد
- (٣) احتراق البشرة كلها وبعض الأدمة، وهو أشد الحروق ألما
- (٤) احتراق الأدمة مع البشرة كلها. وعند شفاء مثل هذا الحرق يحصل انكماش شديد في الجلد مكان الحرق

(٥) احتراق الجلد كله مع بعض الأنسجة التي تحته حتى العضلات

(٦) احتراق العضو كله وصيرورته فخما

وقد شوهد أن بعض النساء السمينات المدمنات شرب الخمر يحترقن بسرعة عجيبة بحيث يتعذر أطفاؤهن ولو بالماء الى أن يحترق الجسم كله تقريبا، ويحصل هذا الاحتراق عند وجود أقل سبب له كالاتقارب من فتيلة مشتعلة حتى ظن بعض الأطباء أنه يحصل بلا نار مطلقا، ويسمونه (الاحتراق الذاتي)

وأما اعراض الحرق العامة فهي ثلاث درجات : -

(١) الصدمة العصبية - - فيصاب الشخص ببرودة شديدة وذبول حتى إنه قد لا يشعر بشيء من الألم وتضعف ضربات قلبه ونبضه وقد يقع في الغيبوبة ويموت (٢) رد الفعل والالتهاب - وذلك يحصل بعد مضي يوم أو يومين، فترتفع حرارة الشخص وتصيبه الحمى ويقوى نبضه ويسرع، وقد يحصل له التهاب في الاحشاء كالتهاب الرئتين أو البريتون أو سحايا المخ ، وفي هذه الدرجة قد يصاب أيضا بقرحة ثاقبة للاثني عشري

(٣) تكوّن الصديد - وهو اذا طال وكان المكان متسعاً أدى الى الاضمحلال فالموت

(المعالجة)

يطفأ المحروق أولاً بأن يلف جسمه في الحال بشيء سميك ليمنع وصول الهواء اليه فتطفأ النار ، والاحسن أن يبل هذا الشيء الذي يلف به. ويشترط أن لا يلف الوجه بشيء خوفاً من الاختناق. وإن لم يرجد شيء يتألف به يمرغ الشخص على الارض ، وإن وجدت قطعة لا تكفي الجزء من الجسم فينبغي التلفف بهامع التمرغ وبعد اطفاء النار يجب الاحتراس التام من أن يمس جسم المحروق أي شيء غير مطهر ثم تُبَطِّق الفقاعات إن وجدت ويصفى السائل منها ، ولكن الاحسن ترك البشرة بدون إزالتها فانها تكون كالوقاية للجسم ثم يدهن الجسم كله بزيت بعد غليه وتبريده ، أو يستعمل مروخ الجير الذي تقدم ذكره

وهناك عدة طرق لتضميد الحروق تذكر في فن الجراحة، ومن أحسنها استعمال حامض البكريك (وهو مادة متبلورة صفراء اللون مركبة من الفنيك مع حامض النيتريك) يذاب في الماء بنسبة ٥ الى ١٠٠٠ أي يكون الماء مشبعاً به ثم يدفأ ويفمس فيه الموصل (الشاش) أو قماش آخر يسمى لنت Lint ويلف به المحروق، ويوضع فوق ذلك ورق زيتي أو حبة زيتية فقطن، ويترك هذا الضماد نحو ٣ أو ٤ أيام ثم يحدد ويترك لمدة أسبوع . وفائدة حامض البكريك هذا هي أنه مطهر

محجف للحرق مسكن للالم وذلك هو كل مانبغي

ولعلاج حالة المصاب العمومية في الطور الاول (طور الهبوط والرجة العصبية)
يجب استعمال المنعشات ، فيلف الشخص بالملابس والاعطية السميكة حتى يدفأ ،
وتوضع زجاجات الماء الساخن حول رجليه وجنبه ، ويعطى له مثل القهوة أو الشاي
الساخنين أو بعض الخمر — اذا لم يوجد ما يغني المسلم عنها — ويمنع عن الاغذية
ماعدا اللبن وغيره من السوائل كالمرق ولا بأس من اعطائه جزءا من الافيون — قدر
قمة أو قمتين — ان كان الألم شديدا . ويجب بعد ذلك أن يتولى باقي علاجه
الطبيب حتى يشفى أو يموت

وأسباب الوفاة في الحرق عند حدوثه مباشرة متنوعة منها الاختناق بالدخان
والغازات ، أو الفزع الشديد ، أو الرجة العصبية بسبب ألم الحرق

أصناف الأقلام العربية في الاسلام

(نموذج من كتاب انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي) (*)

بقي الخط العربي على حالته القديمة غير بالغ مبلغه من الاحكام والاتقان في
زمن الرسول والخلفاء الراشدين لاشتغال المسلمين بالحروب حتى زمن بني أمية
فابتدأ الخط يسمو ويرتقي وكثر عدد المشتغلين به . وفي أواخر أيامهم تفرع الخط
الكوفي وكانت تكتب به المصاحف منذ أيام الراشدين الى أربعة أقلام اشتقها
بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة الحرر كان اكتب أهل زمانه ، ثم اشتهر بعده
في أوائل الدولة العباسية رجلا من أهل الشام انتهت اليها الرئاسة في جودة الخط
وهما : الضحاك بن عجلان كان في خلافة السفاح فزاد على قطبة ، واسحاق بن
حماد وكان في خلافة المنصور والمهدي فزاد بعد الضحاك وزاد غيره حتى بلغ عدد

(*) المثار : تجد تفریط هذا الكتاب في مكان آخر

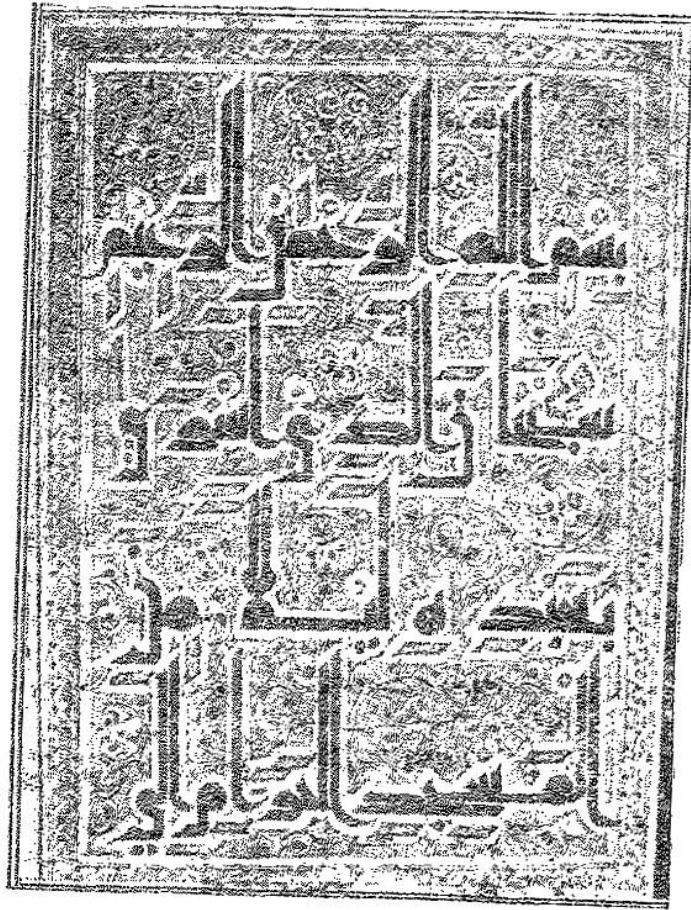
الأقلام العربية الى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً كان لكل قلم عمل خاص وهي:

(١) قلم الجليل كان يكتب به في المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحوها وهو ما يسميه العامة الآن بالخط الجلي (٢) قلم السجلات (٣) قلم الديباج (٤) قلم اسطومار الكبير (٥) قلم الثلثين (٦) قلم الزنبور (٧) قلم المفتاح (٨) قلم الحرم كان يكتب به الى الاميرات من بيت الملك (٩) قلم المؤامرات، كان لاستشارة الامراء ومناقشتهم (١٠) قلم اليهود كان لكتابة اليهود واليهود (١١) قلم القصص (١٢) قلم الخرفاج . ولما ازداد عصر العباسيين بأنوار العلوم والعرفان وخصوصا في أيام المأمون اخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتتقدم كسائر العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهام نافذة لاحتياجهم اليها فتنافس الكتاب في أيامه في تجويد الخط فحدث القلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرياسي ^(١) نسبة الى مخترعه ذي الرئاستين الوزير الفضل بن سهل . وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة ^(٢) وكان يكتب به بطائق حمام الرسائل، وهكذا كان كل قلم معداً لنوع من الكتابة كما تكتب الآن الانعامات بالترتيب بقلم خاص، والاوراق الديوانية بقلم خاص، وألواح الحجر بخط آخر وكتب التعليم بآخر

فزادت الخطوط العربية على عشرين شكلاً وكلها تعد من الخط الكوفي فهو اذ ذاك كان خط الدين والدولة. وقد كان يكتب به القرآن منذ أيام الراشدين كما أسلفنا حتى أواسط العصور الاسلامية (ش ٤) . واما الخط النسخي فقد كان مستعملاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقله المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسيناً كبيراً بعد ان كان في غاية

(١) يصبح ان يقال ريس في رئيس قال السكيت يمدح محمد بن سليمان الهاشمي تلقى الأمان عن حياض محمد ثولاء مخرفة وذئب أطلس لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة تهدي الرعية ما استقام الرئيس والثولاء النعجة والمخرفة لها خروف يتبعها، ضرب لذلك مثلاً لعدله وانصافه حتى انه يشرب الذئب والشاة من ماء واحد — استشهد به الجوهري والزيدي (في تاج العروس) وغيره على ما قلناه ان الرئيس يقال فيه ريس (٢) كشف الظنون ٤٦٦ ج ١

الاختلال، وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين . وقد اشتهر بعد ابن مقلة جماعة كثيرة من الخطاطين هذا بوا طريقته وكسوها حلاوة وطلاوة، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ١٣ هـ ١٠٣١ م وقد اخترع عدة أقلام . وياقوت ابن عبد الله الرومي المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وغيرهما كثير، وقد تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الأعوام الى فروع كثيرة وأصبحت الأقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين : السكوفي والنسخي، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي : الثالث والنسخ والتعليق والريحاني



ش : الخط السكوفي الجميل

آية من مصحف كتبه أبو بكر الفزاري سنة ٦٦ هـ . وتوضيحها : بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي أصرى بعبد له ليل من المسجد الحرام الى . . .

والمحقق والرقاع ، برز في هذه الأقلام جملة من العلماء . وما زال الخط يتفرع الى الآن . فقد ظهر بعد هذه الستة الأقلام القلم الديواني والقلم الدشتي والقلم الفارسي

وغيره ، وبقي الأمر تابعا لارتفاع الدولة وانخفاض شأنها (انظر شكل هـ) فانه لما تضمضت خلافة بغداد وانتقلت الخلافة الى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم اليها وسرى منها الى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها والى مجاورها ، وما زال الخط في جميع هذه الاماكن آخذا في الجودة الى هذا العهد وصار للحروف قوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بين الخطاطين ، وقد حفظ لنا القلقشندي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك (أواخر القرن الثامن للهجرة) فذكر في الجزء الثالث ^(١) من كتابه صبح الأعشى أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين وعلق عليها معتمدا على نماذج منها نشرت في هذا الكتاب وهي ستة أنواع :

(١) الطومار الكامل ويشتمل على جملة أنواع وكان يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .

(٢) مختصر الطومار وهو على نوعين : الثلث والمحقق وكان يكتب به في عهود الملوك عن الخلفاء والمكاتبة الى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق .

(٣) الثلث وهو نوعان الثقيل والخفيف .

(٤) التوقيع وهو على ثلاثة أنواع ، وكانت توقع به الخلفاء والوزراء على ظهور

القصص .

(٥) الرقاع وهو على ثلاثة أنواع أيضا وكان يكتب به في الرقاع جمع رُقعته وهي

الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها .

(٦) الغبار وهو نوع واحد وكان يكتب به بطائق الحمام والملطقات وما في

معناها . ونرى من الكتابات المنقوشة على الاحجار في أيام المماليك جمال هذا الخط وبهاءه وهو وان كانت حروفه مستطيلة فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام

العباسيين

ولما آلت الخلافة الى الاتراك بعد زوال دولة المماليك بمصر ورثوا بقايا التمدن

الاسلامي فكان لهم اعتناء خاص بالخط وقد أخذوا في اتقانه على أيدي الاساتذة

[المنار: ج ٦ م ١٨] الأعلام العربية المستعملة الآن ٤٦٥

الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون . وقد حفظ الأتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم ودواثرهم الملكية والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى فكان يعرف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة ٣٥ نوعا تقريبا الا انه أهل أكثرها أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولم يبق مستعملا منها في الوقت الحاضر الا ما سنفد كره في الفصل الآتي ، والأتراك هم الذين أحدثوا الخط الرقعة والخط الهمايوني واليهام انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه الى عهدنا هذا ، وقد أخذنا عنهم الخط المعروف بالاسلامبولي . ولن يزال الخط يتفرع الى ما شاء الله عملا بسنة الارتقاء

الأعلام المستعملة الآن

(١) الخط النسخي — أما الآن فقد أهل الخط الكوفي وصار الخط النسخي هو الاكثر استعمالا في كتابة اللغة العربية أينما وجدت وكذلك في كتابة اللغة التركية والتركية والافغانية والهندية وغيرها من لغات العالم الاسلامي ، فانه يستعمل فيها الخط النسخي في الكتب العلمية وغيرها وعلى الخصوص في المواضيع الدينية والشرعية كما سيأتي .

(٢) القلم الفارسي — وهو مشتق من الخط القيرواني المتولد من الخط الكوفي في صدر الاسلام وتكتب به الآن اللغة الفارسية ويستعمل غالبا عند الهنود في كتابة لغتهم الهندستانية (الأوردية) . وسيأتي تفصيل تاريخه وفروعه عند الكلام على اللغة الفارسية

(٣) القلم المغربي — المستعمل في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس لكتابة العربية والبربرية معا وسيأتي ذكره بالتفصيل عند الكلام على لغات المغرب .

(٤ و ٥) القلم الرقعة والقلم الثلث — الرقعة هو خط الدواوين في تركيا وغيرها ويغلب استعماله أيضا في المراسلات الاعتيادية وقد أسلفنا انه والقلم الهمايوني من مستحدثات الأتراك وهما يستعملان عندهم الى الآن . وقد انتشر الرقعة بسلطة الأتراك في جزء من البلدان العربية، ومع انه مكروه من بعض العرب الخالص لانه

(المنار: ج ٦) (٥٩) (المجلد الثامن عشر)

٤٦٦

قلم التعليق والديواني [المنار : ج ٦ م ١٨]

خط تركي^(١) فهو مستعمل في مصر والعراق وسوريا مثل القلم الثلث المستعمل عند الجميع ، إلا أن الثلث يستعمل في الزخرفة والتزييق أكثر من استعماله في الكتابة العادية .

(٦) قلم التعليق — أو الكتابة الفارسية المحرفة وهو يستعمل في تركيا لكتابة الأوراق والأعمال القضائية الشرعية وكذلك في الكتب وخصوصاً في كتب الأشعار والدواوين (ش ٦) كما سترى عند الكلام على الخط الفارسي .

بیمین چشم دارم ز خواندگان که نام به نیکو برند بر زبان

ش ٦ : قلم التعليق
بيت من أشعار الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور ويقرأ هكذا :
« همين چشم دارم ز خواندگان که نام به نیکو برند بر زبان »

(٧) القلم الديواني — الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم وهو على

عالي الشان شريف عاليشان سامي مكان وطفرای غرای جهان ستان خاقانی تغه بالعون الرباني والصون الصمداني حكيم اولدره
دولتو عنايتو زافلو على لهم جني افرم لطائف حضرتي
جناب سعادتمآب ابرينه دركار اولاد ميل و محبت و خصوص بودتم بر كال اولفردنه شهي

ش ٧ : القلم الديواني الجلي (القسم الاعلى) والقلم الديواني (القسم الاسفل) ويقرأ القسم الاعلى هكذا :
« نشان شريف عاليشان سامي مكان وطفرای غرای جهان ستان خاقانی تغه بالعون الرباني والصون الصمداني حكيم اولدره »

نوعين : أحدهما كبير قليلا وهو المستعمل في الدواوين السلطانية بتركيا لكتابة

(1) Encyclopédie de l'Islam ' art. (Arabie) page : 393

المراسيم والدبلومات Les diplômes (الفرمانات والبرآت) على جميع أنواعها .
والآخر أصغر منه وهو وإن يكن قد قل استخدامه بعض الشيء إلا أنه مستعمل
كثيراً في المحاكم الدينية والشرعية التي تستعمل أيضاً خط التعليق . أما الهمايوني
المتقدم ذكره فهو نفسه الخط الديواني الكبير ويسمى عندهم « جلي ديواني » أي
القلم الديواني الجلي (ش ٨ و ٧) وهو يستعمل لكتابة الفرمانات السلطانية
المتعلقة بالوسامات

وتتمد الحروف النهائية في الخط الديواني وخصوصاً الجيم والحاء والعين
والغين إذا جاءت في أواخر الكلام وكذلك أطراف السين والشين والصاد والضاد
كما ترى في شكل ٩

(٨) القلم النستعليق — أو الخط الفارسي المنسوخ وهو يستعمل عند الفرس
وسياثي ذكره عند الكلام على الخط الفارسي وفروعه

(٩) قلم الاجازات - وهو يتألف من الخط النسخي والخط الثلث بتصرف مع
بعض زيادات لا توجد في غيره وهو يستعمل عند الأتراك أحياناً .

والخط في تركيا لم يزل مشرفاً وأعمال الخطاطين الكبار أمثال حمد الله المتوفى
سنة (٩٣٦ = ١٥٣٠) وحافظ عثمان المتوفى سنة (١١١٠ = ١٦٩٨ - ١٦٦٩)
لم تزل معتبرة كنماذج تقلد ، أما في البلدان العربية وخصوصاً في مصر فإن الاعتناء
بالخط أخذ في الضعف والإهمال بسبب سرعة انتشار المطابع .

حروف الهجاء العربية

وترتيبها

أما ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مخالف لترتيب الحروف الأخرى المرتبة
على أبجد هوز الخ وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم السامية . وأما
العربية فتبتدئ هكذا : اب ت ث الح ، مع أن التاء في اللغات الأخرى هي آخر
حروفها . وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضعه نصر ابن عاصم وبجي ابن
يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان وهو مبني على مشابهة الحروف في

الشكل فابتدأ بالالف والباء لانهما أول الحروف في ترتيب ابجد وعقبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء ثم ذكر الجيم من حروف ابجد وعقبا بالحاء والحاء للمشابهة ثم ذكر الدال وعقبا بالذال ، ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الحاء أخراها معها لا آخر الحروف ، وقبل ان يذكر الزاي ذكر الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصفيرو لذلك ذكر السين بعد الزاي وعقبا بالشين للمشابهة ، ثم ذكر الصاد وعقبا بالضاد ثم رجعا للطاء من ابجد وعقبا بالظاء وأخرا أحرف « كلن » حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة ، وذكر العين وعقبا بالغين ثم ذكر الفاء وعقبا بالقاف ، ثم ذكر كرا أحرف كلن والهاء وأحرف العلة .

ولكون ترتيب ابجد يختلف عند المغاربة ^(١) عن ترتيبها عند المشارقة كان ترتيب الحروف عند المغاربة بعد ضم كل حرف الى ما يشابهه في الشكل هكذا :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

الأحرف الخاصة بالعربية

واللغات الأخرى

وفي الخط العربي فضلا عن الحروف الشرقية الأخرى ستة أحرف هي : التاء والحاء والذال والضاد والظاء والغين « نخذ ضغط » وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية . وهذه الأحرف لا يخرج لها في اللغات الأخرى الا بتركيب مع حرف آخر . والضاد منها خاصة باللغة العربية دون سواها وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين بالعربية بلقب « الناطقون بالضاد » وتمييزهم بها ، وفي الحديث « انا أفصح من نطق بالضاد » إشارة الى ذلك .

وهنا ملاحظة ينبغي الإشارة اليها وهي ان هذه الأحرف الستة لا تستعمل غالبا في اللغات الإسلامية الآتية (التي تكتب بالخط العربي) الا لكتابة الكلمات

(١) ترتيب المغاربة في ابجد يختلف قليلا عن ترتيبها عند المشارقة فيقولون : « ابجد هوز حطى كلن صغفص قرست نخذ طغش » وسبب هذا الاختلاف ان المغاربة يرون الترتيب عن الامم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة

العربية الدخيلة في لغاتهم ولذلك فبسم لا ينطقون بها تماماً إذا قرأوها في نصوص عربية بل بشر كونها مع حرف آخر ، فمثلاً إذا أرادوا النطق (بالطاء) أو (بالضاد) تكلنوهما ، فإطاء يخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان ، والضاد تخرج كالأزاي المفخمة في نحو رمضان وهكذا : ولما كانت هذه الأحرف معدومة عندهم فهم يستعملون حروفاً^(١) أخرى معدومة في العربية تقتضيها طبيعة لغاتهم ولهذا كان من الضروري لنا أن نذكر هذه الأحرف عند ذكر لغاتها لأنها تكون بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم .

النقط والحركات

في الخط العربي

الحركات

لما اقتبس العرب الخط من الانباط والسريان كان خالياً من الحركات والإعجام ، فالحركات فيه حادثة في الإسلام ، والمشهور أن أول من وضعها أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ لما كثرت اللحن في الكلام ، واختلاط العرب بالاعاجم في صدر الإسلام ، فكانت الحركات إذ ذاك تقطأ بمرزوق بها بين الضم والفتح والكسر فكانت النقطة فوق الحرف دليلاً على الفتح وإلى جانبه دليلاً على الضم وتحت دليلاً على الكسر . ولم تشتهر طريقة أبي الأسود هذه إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن ، أما الكتب العادية فكانوا يفضلون ترك الحركات والنقط فيها لأن المكتوب اليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم قال بعضهم :

« شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه »

أما استبدال النقط بالحركات الحديثة فالغالب أنه حدث تنويعاً للحركات عن

(١) هذه الأحرف عربية شكلاً لا نطقاً وهم يميزونها بالكتابة عن أشباهها بوضع نقط أو علامات فوق الحرف أو تحته كما ستري بعد .

٤٧٠ الإعجام وضبط الحروف العربية [المنار: ج ٦ م ١٨]

النقط التي يميزون بها الباء عن التاء خوفاً من الالتباس ، فالحركات الحديثة وضمت بعد ذلك لتقوم مقام حروف العلة لمشاكلة الحركات لها فجعلوا للضمة التي يشبه لفظها الواو علامة تشبه الواو والتي يشبه لفظها الالف وهي الفتحة علامة تشبه الالف بكنها مستقيمة ومثلها للكسرة من تحت وهكذا (١)

الإعجام

وضبط الحروف العربية

أما الإعجام أو النقط فيظن أنها كانت موجودة في بعض الحروف قبل الاسلام وتوسيت ، ولكن المشهور ان اختراعها كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وذلك لما كثرت تصحيف خصوصاً في العراق والتبست القراءة على الناس لتكاثر الاعاجم من القراء والعربية ليست لغتهم ، فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المتشابهة علامات ودعا نصراً ابن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر المدواني (تلميذ أبي الاسود) لهذا الامر فوضعا النقط أو الاعجام أزواجاً وأفراداً بعضها فوق الحروف وبعضها تحتها . وسمي الإعجام إعجاماً لأن الاعجام في المعنى الاصلي هو التكلم على طريقة الاعاجم كما ان الاعراب هو التكلم على طريقة العرب . وكان الجمهور يكره كما قلنا الإعجام والحركات في الكتابة وينفر منها ولكن الناس رجعوا بعد ذلك على هذا الرأي حتى كانوا يعدون أهمال الإعجام خطأ في الكتابة ، واستمر الامر على اتباع هذا الإعجام الى الآن .

الكتابة

واتجاه السطور فيها

لم يتقرر لاتجاه السطور في الكتابة نظام الا بعد ترقيقها ولذلك كانت الكتابة يدونها الاولون أنى اتفق لايراعون لها نظاما في اتجاه سطورها كما كان عند قدماء

(١) راجع محاضرات الاستاذ حفني بك فاضل « تاريخ الادب أو حياة اللغة

[المنار : ج ٦ م ١٨] الأعلام وصبط الحروف العربية ٤٧١

اليونان فانهم كانوا يكتبون تارة من اليسار الى اليمين وطورا من اليمين الى اليسار وأحيانا يجمعون بينهما .

فلما ترفت الكتابة وتقرر نظامها عند الامم اتخذت كل أمة منها طريقاً مخصوصاً في كيفية سيرها : فأهل الصين واتباعهم صاروا يكتبون من الأعلى الى الأسفل ومن اليمين الى اليسار على الخط الرأسي ولذلك سميت كتابتهم « بالمشجر » ولهم في ذلك اعتقاد خاص حيث يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى موجود في السماء العليا فكل شيء لا بد وان يأتيهم من جهته ولذلك صاروا يكتبون من أعلى الى أسفل .

وأهل أوروبا صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين لكون الدورة الدموية تتقدم من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فوجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمد منه البنان فلذلك صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين .

أما العرب والسريان وغيرهم من الامم السامية فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار بالنسبة لكون الطبيعة قضت بأن كل شيء لا يعمل الا بيده اليمنى كما وانه لا ينتقل من جهة الى أخرى الا بالرجل اليمنى فلذلك صاروا يكتبون من اليمين الى اليسار (١)

فالكتابة العربية الحالية متصلة من القديم وتكتب أينما وجدت من اليمين الى الشمال على السطر الاقوي وقد روى الدكتور بشاره زلزل في كتابه تنوير الاذهان انه « لم تنزل بعض الامم كالصومال تكتب الخط العربي من أعلى الى أسفل (اي على السطر الرأسي) وتقرأه من اليمين الى اليسار » (٢) وهذا غريب يحتاج الاثبات .

(١) الكتابة والكتاب للشهيد وانظر صبيح الاعشى (ج ٣ ص ٢١)

(٢) تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والانسان ص ٢٣٨

الدولة والامان

والسكتان المتضادتان ، الشبيهتان بالجمع بين الكفر والايمان

للسلطان عبد الحميد حسنة عظيمة في البلاد العربية ، لا يصدنا عن الاعتراف بها ، ما قيل من نيته فيها وغرضه منها ، الا وهي سكة الحديد الحجازية . التي كان يظن ويقال انه كان الباعث له على انشائها جعل الحجاز كسائر البلاد العثمانية في الخضوع لحكومته ، والتمكن من سوق الجيوش اليها عند الحاجة ، والمعروف من رأي كثير من رجال الدولة ازالة إمارة الشرفاء من الحجاز منهم احمد مختار باشا الغازي . ولا يكون ذلك سهلا مأمون العاقبة الا باتمام هذه السكة . وهذا هو السبب فيما اشتهر من معارضة شرفاء مكة لهذه السكة بين الحرمين الشريفين . كنا ولا نزال نرى أن هذه السكة من أكبر الحسنات ، على علمنا بما هنالك من الاقوال والظنون والنيات ، ولكن للسلطان عبد الحميد سيئة من جنس هذه الحسنة يزيد وزرها على أجر هذه — ان حسنت النية فيها — اضعافا كثيرة لعلها تزيد على سبع مئة ضعف ، الا وهي سكة الحديد الالمانية بين الاستانة والعراق من شروط هذه السكة أن الشركة الالمانية تملك عشرين ألف متر (٢٠ كيلو) عن جانبيها ملكا خالصا ، فعشرون ألف متر تمتد من أقصى مغرب المملكة الشمالي الى أقصى مشرقها الجنوبي ، يكون مملكة كبيرة في قلب المملكة العثمانية ، مساحتها ضعفا مساحة الارض التي تزرع في المملكة المصرية ، وهي منها في أعز مكان ، كالقلب من بدن الانسان ، فكما ان القلب مصدر الحياة للبدن كذلك تكون هذه السكة مصدر الثروة والقوة والعمران في المملكة ، فكيف يعيش من يكون قلبه في قبضة أجنبي عنه . وقد كانت بريطانيا العظمى على قوتها تعد وصول هذه السكة الى الكويت أو البصرة خطرا على مصالحها التجارية في العراق وخليج فارس ، بل خطرا على ممالكها الهندية . أفلا تكون هذه السكة في قلب مملكتنا

[المنار : ج ٦ م ١٨] ما يجب ان تقترحه الدولة على الألمان ٤٧٣

خطرا عليها؟ بلى انها وهي لغيرنا أعظم الاخطار لو كانت غفلا من ذلك الشرط ، فكيف تكون مع ذلك الشرط ؟

قرأنا في أثناء هذه الحرب أخبارا عن الألمان تدل على ان امتلا بهم لقليل من الارض في غير بلادهم أعظم خطرا عليها مما كان لا يستنبطه الا أبعد السياسيين رأيا وأشدهم فطنة وحذرا .

قد امتلك بعض الالمانيين أرضا في فرنسا وبلجيكة فظهر بعد الحرب أنها أعدت في وقت السلم للحرب أهل البلاد التي هي فيها ، فكان منها خنادق وسرايب ومواقع لنصب المدافع الضخمة ، حتى قيل إن مكانا أعده رجل ألماني في بلجيكة للعب الكرة في داره ظهر بعد الحرب انه أعد لنصب أثقل المدافع وأقواها ، وانه وضع على البعد المناسب بينه وبين الحصون البلجيكية وما كان يمكن دكها وتدميرها الا منه .

كنا قرأنا في المقطم ان من شروط التحالف بين ألمانيا والدولة العثمانية أن الاولى لا ترضى بعقد صلح الا اذا اشترط فيه سلامة أملاك الثانية ، وأنها تعطىها خمس الغرامة الحربية التي ترضى أن تأخذها ، على كونها هي التي تقدم لها السلاح والذخيرة والمال لاجل الحرب . وقرأنا وسمعنا أنها وعدتها ببلاد القوقاس وغير القوقاس من البلاد الاسلامية . وكنا نفضل على كل هذه العطايا الغيبية لو اشترطت عليها الدولة أن تبطل من شروط سكة الحديد البغدادية امتلاك عشرين ألف متر عن جانبيها . اذا لم يمكن ان تترك لها هذه السكة كلها ، فان كون قلب بلادنا خالصة لنا أهم وأنفع لنا من ضم بلاد أخرى إليها . فلأن أملاك مئة فدان من الارض ملكا خالصا أستطيع أن أعمرها كما يجب ، أفضل وانفع لي من ألف فدان فيها حقوق للاجانب الذين يستطيعون من عمارتها ما لا أستطيع ، ويخشى أن يوؤل أمرها كلها اليهم . على ان بلاد الدولة أوسع من بلاد عدة دول من الدول الكبرى ، فلو عمرت لكانت غنية بها عن سواها

فمحن نتمنى لو تقترح الدولة على حليفتها القوية ان تعطىها هذه السكة أو تلغي من شروط امتيازها ذلك الشرط لتجعل هذا دليلا على اخلاصها في محالفتها ، ورغبتها في بقائها مستقلة قوية بعد انتصارها معها ، والا كان الخوف منها أكبر من الرجاء فيها .

تقريظ المطبوعات الجديدة*

(المطبوعات التي باسم دار الكتب الخديوية ^(١))

١ - صبح الاعشى في كتابة الانشا

هو تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي المصري. والمراد بكتابة الانشاء الكتابة الرسمية للملوك والسلاطين ، وما يحتاج اليه القائم بها من العلوم والفنون ، فهذا الكتاب تاريخ للسياسة والادارة العامة وجميع العلوم والفنون والآداب ، ولا يمكن بيان كليات فوائده والتعريف بمجامع مزاياه الا في مقال طويل لعل المنار يقوم به بعد إتمام طبع الكتاب. وهو يطبع في المطبعة الاميرية بحروفها الجديدة الجميلة على أجود ورق يوجد بمصر . وقد تم من طبعه أربعة أجزاء من القطع الكامل . صفحات (الاول) ٤٨١ والثاني ٤٧٧ والثالث ٥٣٢ والرابع ٤٨٧ وهو يباع في دار الكتب نفسها ، وفي مكتبة المنار وغيرها ، وتمن كل جزء منه ١٥ قرشا

وهو لا يكاد يزيد عن نفقة الطبع الا قليلا ، فنحث كل محب للعلم والأدب والتاريخ الى المبادرة لاقتنائه ومطالعة ، أو الإحاطة بما في كل باب وكل فصل من المباحث النفيسة لاجل الرجوع اليها عند الحاجة لمن لا يتيسر له مطالعة الكتاب كله - أو مطالعة ما يرى نفسه أحوج الى معرفته .

ولما كان هذا الكتاب من قبيل الموسوعات التي يطلقون عليها اسم (دائرة المعارف) نقترح على دار الكتب أن تجعل له فهرسا تاما مرتبا على حروف المعجم

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

(١) أسست دار الكتب العامة في عهد الخديو اسماعيل باشا بعناية محمود سامي باشا البارودي وسميت الكتبخانة الخديوية ثم سميت المكتبة المصرية ثم دار الكتب الخديوية - ثم دار الكتب السلطانية

[المنار: ج ٦ م ١٨] كتاب الاحكام وكتاب الطراز ٤٧٥

٢- الإحكام في أصول الأحكام

تأليف الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي ابن أبي علي الآمدي المتوفى سنة ٥٥١ للهجرة

طبع في مطبعة المعارف طبعا نظيفا على ورق جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء الأول ٤٠٧ والثاني ٤٩٥ والثالث ٤٣٧ والرابع ٣٩٢ ومجمعه ٤٨٨ لكل جزء ١٢٢ الآمدي رحمه الله من أعلام العلماء وأساطين الحكماء له اليد الطولى في الحديث وعلم النظر والخلاف والفلسفة. قال ابن خلكان: ولم يكن في زمانه احفظ منه لهذه العلوم. وكان العزيز بن عبد السلام يقول: ما سمعت أحدا يلقي الدرس أحسن منه كأنه يخطب، وإن غير لفظا من (الوسيط) - للفرالي وكان يحفظه - كان لفظه أمس بالمعنى من لفظ صاحبه. وقال العز أيضا: ما علمنا قواعد البحث الا سيف الدين. وقال أيضا: لو ورد على الاسلام متزندق يشكك ماتمين لمناظرته غير الآمدي. وله مؤلفات في غاية الاتقان والتنقيح منها كتابه هذا (الإحكام) في أصول الفقه. وهو من أبسطها عبارة، وأكثرها تقسيما، وأحسنها ترتيبا، وأجمعها لمسائل الخلاف ودلائلها

وهو كالكتابين المذكورين بعده من الكتب التي طبعت بعناية أحمد حشمت باشا في عهد وزارته للمعارف، وتطاب كلها من دار الكتب السلطانية ومن مكتبة المنار وغيرها

٣- الطراز، المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز

تأليف «السيد الامام، إمام الائمة الكرام، أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني» المتوفى سنة ٤٥٩ للهجرة طبع في مطبعة المقتطف بمصر طبعا جيدا على ورق أبيض جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء الأول ٤٣٥ والثاني ص ٤٠٨ والثالث ٤٦٦ ومجمعه ٣٦٦ قرشا صحيحا لكل جزء

١٢ قرشا

هذا الكتاب من كتب البلاغة المتمعة، التي ينفق مؤلفوها من سعة ضم بين

قطرية علوم البيان ، وجمع بين دفتيه دلائل اعجاز القرآن ، والمراد بعلوم البيان علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبدیع ، رتبهُ مؤلفه رحمه الله أحسن ترتيب وجاء على مسائله بالشواهد والأمثلة حتى سهل مآتناول من مسائل الفن من أقرب السبيل ، ولذلك قال أنه يرجو أن يكون متميزاً عن سائر الكتب بأمرين : أحدهما ترتيبه العجيب وتنسيقه الذي يطلع قارئه من أول وهلة على مقاصد هذا الفن ، وثانيهما ما فيه من التسهيل والتيسير والايضاح للمباحث الدقيقة . فهو يجري في الايضاح والبسط على نسق امام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اعترف المصنف رحمه الله تعالى بأن عبد القاهر هو الواضع لهذا الفن وأنه لم يطلع على كتابيه فيه ، ولعله لو اطلع عليهما لكان أحسن بيانا وأغزر فوائد . قال : « وأول من أسس من هذا العلم قواعده . وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد . وهد من سور المشكلات بالتسوير المَشِيد . وفتح أزهاره من أكامها ، وفتح أزواره بعد استغلاقيها واستبهاهما ، فجزاه الله عن الإسلام ، أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما لقبه « بدلائل الاعجاز » والآخر لقبه « بأسرار البلاغة » ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بجهما ، وشدة إعجابي بهما ، إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما » . اهـ

ثم بين موضوع الكتاب وطريقته فيه فقال :

« ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لمره . ومقاصد تكون خلاصة لمره ، وتكمالات تكون نهاية لحاله . لاجرم اخترت في ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتباً على فنون ثلاثة ، ولعلها تكون وافية بالمطلوب محصلة للبغية بعون الله

فالفن الاول منها مرسوم المقدّمات السابقة نذكر فيها تفسير علم البيان ، ونشير فيها الى بيان ماهيته وموضوعه ومنزله من العلوم الادبية ، والطريق الى الوصول اليه وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك ، من بيان ماهية البلاغة والفصاحة والتفرقة

بينهما . ونشير الى معاني الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما ، الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة لما نريده من المقاصد

الفن الثاني منها مرسوم المقاصد الثلاثة . نذكر منه ونشير فيه الى ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بالمعاني وعلومها . ونردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها . ونشرح فيه ما يتعلق به من المباحث بعلم البديع ونذكر فيه خصائصه وأقسامه وأحكامه الثلاثة به بمعونة الله تعالى ولطفه

الفن الثالث نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى التسمية والتسكلة لهذه العلوم الثلاثة ، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها ، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله في البلاغة والفصاحة ، فإنه لا يدانيه ولا يماثله . ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتي أحدٌ بمثله . ونذكر وجه اعجازه ، ونذكر أقوال العلماء في ذلك ، ونظهر الوجه المختار فيه ، الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة ، والنكت الغزيرة ، التي نلحقها على جهة الردف والتسكلة لما سبقها من المقاصد

فالفن الثالث للثاني على جهة الإكمال والتتيم . والفن الاول للثاني على جهة التمهيد والتوطئة والسر واللباب . والمقصد لذوي الالباب . ما يكون مودعا في الفن الثاني وهو فن المقاصد . وأنا أسأل الله تعالى بمجوده الذي هو غاية مطلب الطلاب . وكرمه الواسع الذي لا يحول دونه ستر ولا حجاب . أن يجعله من العلوم النافعة في إصلاح الدين . ورجحانا في ميزاني عند خفة الموازين . إنه خير مأمول ، وأكرم مسؤول .

٤ - الخصائص

تأليف أبي الفتح عثمان بن جني طبع الجزء الاول منه بمطبعة الهلال سنة ١٣٣٢ هـ صفحاته ٥٦٩ منه ١٥ قرش

ابن جني من أساطين أئمة اللغة وفحولها وقد قال فيه البخارزي في دمية القصر : ليس لاحد من أئمة الادب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ما لا بي الفتح ، ولا سيما في علم الاعراب . ومن قول المتنبي فيه أيضا : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . وقال الأستاذ الامام من كتاب يعرض فيه بصاحب له وقع

فيه عندما أخذ بتهمة المسألة العراية : وأما فلان فقد أكننته كني ، وأدنيته مني ، وجعلته في مكان النحو من ابن جني ، ثم هو يصرح بسببي ولا يكتفي .

وكتابه هذا [الخصائص] علم وأدب وفقه لغة وفلسفة، لأنه يعطي المطالع علماً باللغة العربية وأساليبها وآدابها ويلهمه بلاغة بأسلوبه الذي هو في أعلا ذروة منها ومن رأيه في (باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح) ما نصه :

« وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدَوِيّ الرّيح . وحنين الرعد ، وخزير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفهرس ، ونزيب ^(١) الظبي ونحو ذلك ، ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب مقبّل

« وعلم فيما بعد ، أنني على تقادم الوقت ، دائم التغير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات القول على فكري ، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإدهاف والرقّة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فن ذلك مانبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم ، فعرفت بقتابعه واتقياده ، وبعد مراميه وآماده ، صحة ما وفقوا لتقدمه منه ، ولطف ما أسعدوا به ، وفرق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك وارد الاخبار الماثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحي

ثم أقول في ضد هذا كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنهبوا وتنهبنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة . كذلك لا نكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وإن بعد مداه عنا ، من كان ألطف منا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجراً جناناً ، فأقف بين تين الخطين حسيراً ، وأكأثرهما فأنسكفي مكثوراً ، وإن خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبها ، قلنا به ، وبالله التوفيق » اهـ

(١) النزيب « صوت تيس الظباء عند السقاد »

أما المذهب الذي تقبله أولاً فهو الذي يرجحه الباحثون في فلسفة الخلق ولغاتهم، وأما ما تعارض رأيه فيه بعد ذلك فهو موضوع آخر، وهو أن ارتقاء اللغة العربية في أبنية كلماتها وقوانين جملها وأساليبها، هل كان بمواضعة واصطلاح من أناس من الأولين بذوا من بعدهم في العلم والفلسفة والذوق؟ أم كان بوحى إلهامي من الله تعالى؟ ولكل رأي وجه، والمعقول أن الله تعالى ألهم تلك النفوس ذات الذكاء والذوق أن تجري في كلامها على سنن ترتقي فيها بالتدريج إلى أن وصلت إلى تلك الدرجات العلى التي بين المصنف خصائصها في كتابه

٥ - الاعتصام

كتاب الاعتصام للإمام أبي إسحق إبراهيم اللخمي الشاطبي ثم الفرناطي الأندلسي المتوفى سنة ٧٩٠

طبع طبعاً حسناً على ورق جيد في مطبعة المنار في ثلاثة أجزاء صفحات الأولى منها ٣٨٨ ماعدا الفهرس ومقالة التعريف بالكتاب وترجمة مؤلفه. وصفحات الثاني ٣٤٦ ماعدا الفهرس، وصفحات الثالث ٢٨٠ ماعدا الفهرس وخاتمة الطبع. ومن كل جزء منها ١٠٠ ويطلب من دار الكتب ومن مكتبة المنار

قد سبق تقرير هذا الكتاب وبيان مزاياه في منار العام الماضي. ونقول الآن أننا لانعلم أن أحداً ألف مثله في بيان حقيقة البدع وأقسامها وأحكامها. فهو ركن من أركان الإصلاح الإسلامي لعله لا يقرؤه مسلم إلا ويكره البدع وينفر منها، ويجب السنة ويرغب في الاعتصام بها، على علم وبصيرة تنتقي بهما الشبهات التي راجت والتبس على كثير من المشتغلين بالفقه لا على العوام وحدهم، فهذا الكتاب أعم مطبوعات دار الكتب نفعا لا يستغني عنه عالم ولا عامي من المسلمين

طبعت هذه الكتب للمرة الأولى فهي كنوز علم وأدب قد فتحت للطالبيين ورياض فضل أدنيت للناس أجمعين ليجمعوا يانع ثمراتها فجزى الله الساعين بطبعها خير الجزاء ونفع بها آمين

(انتشار الخط العربي)

تأليف عبد الفتاح افندي عباده صاحب كتاب (سفن الاسطول الاسلامي)
مزينسا بالرسوم والخرط طبع سنة ١٣٣٣ في مطبعة هندية ص ١٦٨ ويطلب من
مكتبة المنار بمصر ومثله ١٢

لعمد الفتاح افندي عباده عناية بالمباحث التاريخية والفنية المبكرة التي لم
تفرد في التأليف في لغتنا من قبل . وقد أتخف أبناء العربية بكتابته (سفن الاسطول
الاسلامي) ثم أبرز لهم اليوم هذا المؤلف النفيس الذي أبان فيه منشأ الخط العربي
وتطوره بتطور المسلمين وما تفرع منه . وأحصى عدد الذين يكتبون بالخط العربي من
البشر فاذا هم ٢٤٣ مليوناً ، ولعلمهم يزيدون فان وثني الهند يكتبون بها كالمسلمين ؛
فكتابته هذا كتاب أدب لا تاريخ .

نعم انه قد اعتمد في معظم مباحثه على ما كتبه علماء أوربة وغيرهم ، وربما
أخطأ بعض هؤلاء العلماء أوربياً أخطأ هو في بعض النقل كتسمية الخط الديواني
الحلبي [الخط الديواني الحلبي] (انظر شكل ٧ و ٨) ولكنه خطأ يقع في مثله كثير
من الناس . وقد نشر في المنار نموذج من مباحث هذا الكتاب

﴿ تصحيح خطأ ﴾

في ص ٢٣٢ سطر ٤ من الجزء الرابع من آية « وارزقهم الثمرات » والصواب
« وارزقهم من الثمرات » وفي الصفحة الاولى من الجزء الخامس غلط في عنوان
التفسير صوابه هكذا (علاوة في بيان أن الزيادة على نصوص الشارع) الخ
وفي الصفحة ٣٨٧ منه عبارة لم تؤد المعنى المراد منها وهي قول حسن افندي
كمال في السطر الرابع من مقالة « وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه
على ما يقابلها » الخ. والمراد انه بين موافقة الكثير من ألفاظ الأثر للغة العربية .
وكلمتي (من حكمه) من ص ٣٨٨ س ٢٥ هما زائدتان أي وربما كان فيه
ألفاظ أخرى موافقة للعربية تعلم بمراجعة معاجم هذه اللغة

